

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

التنظيمات العسكرية غير الإنكشارية في الإيالة التونسية
خلال الفترة الحديثة (طائفة الزواوة وقبائل المخزن أنموذجا)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إشراف الدكتور:

لكحل الشيخ

إعداد الطالب:

داودي قاسم

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
محدادي محمد	دكتور	رئيسا
بالحاج ناصر	دكتور	المشرف المساعد
طاس إبراهيم	دكتور	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ | 2022-2023م

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة غرداية



كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم التاريخ

التنظيمات العسكرية غير الإنكشارية في الإيالة التونسية
خلال الفترة الحديثة (طائفة الزواوة وقبائل المخزن أنموذجا)

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماستر في التاريخ تخصص: تاريخ المغرب العربي الحديث

إشراف الدكتور:

لكحل الشيخ

إعداد الطالب:

داودي قاسم

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة
محدادي محمد	دكتور	رئيسا
بالحاج ناصر	دكتور	المشرف المساعد
طاس إبراهيم	دكتور	مناقشا

السنة الجامعية: 1444-1445هـ | 2022-2023م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

{ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى
وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ
عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ }

(سورة الحجرات: الآية 13)

ضلّ قومٌ ليس يدرون الخبر
من على الملك تولى وقهر

اقرأوا التاريخ إذ فيه العبر
وتأمل كيف أفنى ملكهم

إهداء

أهدي ثمرة هذا العمل المتواضع إلى:

والدي

الى كل العائلة الكريمة الذين ساندوني ووقفوا معي

الى كل المعلمين الذين تتلمذت على أيديهم خلال الأطوار الثلاثة والأساتذة الجامعيين

الى كل الزملاء الذين تقاسمت معهم التعلّم

الى كل طالب علم يسعى جاهدا في سبيل التعلّم والتعلم

شكر وتقدير

ربي أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت عليّ وعلى والديّ وأن أعمل صالحاً ترضاه وأصلح لي
في ذريتي إني تبت إليك وإني من المسلمين

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

أتقدم بأسمى عبارات الشكر والتقدير لوالدي الكريمين اللذين شجعاني لطلب العلم والى كل
المدارس والمكتبات التي فتحت لي أبوابها لأغترف من علومها ومعارفها والى الدكتور ناصر بالحاج
الذي وجهني في بحثي

والى زميلي التونسي الذي أعانني بكتب هامة

الى المعلمين الذين علموني طيلة مسيرتي

والى كل من دعمني بالقليل أو الكثير وقدم لي الدعم بابتسامة طيبة ونظرة مشجعة

ولو أنني أوتيت كلّ بلاغة وأفنيتُ بحر النطقِ في النظم والنثر
لما كنت بعد القول إلا مقصراً ومُعترفاً بالعجز عن واجب الشكر

قائمة المختصرات باللغة العربية

المعنى	الاختصار
تحقيق	تح
تعليق	تع
ترجمة	تر
تقديم	تق
الجزء	ج
دون بلد النشر	د.ب.ن
دون دار النشر	د.د.ن
دون سنة النشر	د.س.ن
صفحة	ص
الطبعة	ط
المجلد	مج
وثيقة	وث

قائمة المختصرات باللغة الأجنبية

Ed	Edition
N	Numéro
Op	Opus citât
P	Page
S.d	Sans date
Tra	Tradition

مقدمة

مقدمة

يعتبر التنظيم العسكري العمود الفقري لأي دولة خاصة الحديثة النشأة، لذا فقد عمل العثماني منذ إلحاقهم تونس للباب العالي في سبتمبر 1574م على تثبيت حكمهم بالبلاد بالقوة فقد تغلب المجال العسكري على الجانب السياسي، ولم تكن القوة الانكشارية التي ضمت تونس كافية لفرض النظام لهذا لجأ الحكام خلال فترات حكمهم الى الاستعانة بالقوات غير النظامية التي من أبرزها عسكر زواوة وقبائل المخزن التي ضمنت ولاء القبائل.

1- أهمية الموضوع

تكمن أهمية هذا الموضوع في أنه يدرس تنظيمًا عسكريًا لم يحظى بالكثير من الدراسات مقارنة بالتنظيم الانكشاري. باعتبار القوات غير نظامية تضم في صفوفها العناصر المحلية التي لعبت دورًا مهمًا في تمكين عثمانة البلاد لأزيد من ثلاث قرون.

2- حدود الدراسة

شمل الإطار الزمني لهذه الدراسة الفترة الحديثة بتونس من التواجد العثماني واعتبارها كإيالة عثمانية الى غاية الحماية الفرنسية لتونس، لأن قبائل المخزن شغلت جميع هذه الفترة. أما الإطار المكاني فشمل المجال الجغرافي والحيز الترابي لإيالة تونس خاصة الجهات الحدودية والقبائل الموجودة في التخوم.

3- إشكالية البحث

إن هذا الموضوع جعلني أمام إشكالية صعبة تتعلق بالجانب العسكري للقوات غير الإنكشارية بالإيالة التونسية وجعلني أتساءل عن طريقة التنظيم العسكري الخاص بقبائل المخزن وطائفة الزواوة؟

ومن أجل البحث في هذا الموضوع وتحقيقه قدمت أسئلة فرعية.

كيف كان التنظيم العسكري بتونس إبان التواجد العثماني بالبلاد؟

بمن استعانت السلطة لضبط الأمن وإخضاع القبائل لها؟

من هم عسكر زواوة؟

ما هي مهامهم؟

ما الفرق بين قبائل الرعية وقبائل المخزن؟

ما مدى فعالية قبائل المخزن وعسكر الزواوة في تثبيت الديوان بالبلاد؟

ما الفرق بين الإنكشارية والقوات غير النظامية؟

4- المنهج المتبع

فرضت عليّ طبيعة الموضوع ومكوناته اتباع المنهج التاريخي فقد تم وصف الأحداث العسكرية وخصائص عسكر الزواوة وقبائل المخزن. كما استعملت المنهج المقارن لمقارنة قوتين عسكريتين بتونس بين الانكشارية والقوات غير نظامية واستنتاج الفوارق.

5- صعوبات البحث

لا يخلو أي عمل بشري من نقائص وصعوبات تقف في طريقه ومن بين الصعوبات التي أعاقني:
_ صعوبة الحصول والوصول الى الكثير من المراجع والمصادر خاصة غير متوفرة الكترونيا علما أنّ الموضوع يخص دولة تونس مما حال دون الوصول الى أرشيفها ومكاتبها نظرا للتكاليف الكبيرة.
_ بما أن الموضوع كبير ويحتاج التعمق أكثر فقد استغرب بعض الأساتذة ممن استشرتهم عن كونه مذكرة ماستر في حين كان يجب أن يكون موضوع دكتوراه.

_ مما أعاقني كثيرا في هذا البحث الكسور التي أصابني في يدي اليمنى مما سببت ركودا عن البحث في الموضوع.

الفصل الأول:

التواجد العثماني بتونس وبداية التنظيم العسكري

الفصل الأول: التواجد العثماني بتونس وبداية التنظيم العسكري

أولاً: سقوط الدولة الحفصية وظهور الحكم العثماني بتونس

1- انهيار الدولة الحفصية

بعد أن حكمت الدولة الحفصية¹ تونس لأكثر من ثلاثة قرون (1229-1574م) وهي أطول مدة حكمت فيها عائلة من العائلات التي أسست دويلات في المغرب العربي الكبير. دب الوهن في جسمها ونخر الضعف في أوصالها وبدأت تتضح ملامح سقوط دولة حكمت أغلب أقطار بلاد المغرب، وقد وصف المؤرخ أحمد توفيق المدني هذه المرحلة بقوله: >> كانت السلطة الحفصية في ذلك الوقت تعاني سكرات الموت، وتكاد تلفظ النفس الأخير، وقد تولى أمرها السلطان الحسن بن محمد، الذي خلف أباه محمد بن الحسن على العرش الواهي المضعضع <<. ² ويمكن أن نعد أهم أسباب سقوط الدولة الحفصية فيما يلي:

أ- الصراع على الحكم

عانت الدولة الحفصية في آخر فترات تواجدها من أحد الأمراض التي تفتك بالدول وتُعجّل بسقوطها، وهو التنافس على كرسي الحكم. فقد نخر الصراع داخل البيت الحفصي بين الإخوة وأبناء العمومة هيكل الدولة وأفسد سمعتها مما جعلها عرضة للتهديدات الخارجية والداخلية فتنافس كبارؤها وأمرؤها على الحكم مما أدى إلى ظهور الانقسامات وكثرة الفتن.³ ويمكن وصف ما حملته تلك الفترة من أحداث بما قاله أحمد بن عامر: >> أما الأمراء الأخيرون، فقد انسلخ معظمهم عن تعاليم الدين، وأقبلوا على الدنيا بما فيها: إذ ارتكبوا المذمومات، وانتحلوا الرذائل، وسلكوا طرقها، وتجروا على القتل، وعلى أخذ الأموال بغير وجه شرعي أو سياسي، وأعطوا المثال السيء إلى السكان بما أعلنوه على بعضهم من ثورات - تنازعا على السلطة-

¹ ينتسب الحفصيون إلى (أبي حفص عمر بن يحيى الهنتاني) وهو من خاصة (ابن تومرت) وأحد مريديه، ويرجع نسبه إلى قبيلة (هنتانة) وهي قبيلة بربرية عظيمة تلتحق بالمصامدة التي هي من أكبر قبائل المغرب الأقصى. ينظر: شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977م. ص26

² أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ص229

³ غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ، 2005م.

اضطروا بسببها : تارة الى التنازل على الامارة، وتارة الى الفرار، وتارة الى القتال وما اليه من اتخاذ وسائل قمع ما أنزل الله بها من سلطان.

ومن جراء ذلك، واجهتهم صعوبات كثيرة. أسفرت عن حدوث خلافات بين القبائل وانشقاق في بعض المدن. وأثارت كثيرا من الفتن والقلاقل التي تبعث في النفس حجلا، وسبق ذكر بعضها. وأنتجت ضعفا في نفوذهم. ووهنا في الروابط التي بينهم وبين السكان. <<¹.

عرفت الدولة الحفصية بعد وفاة السلطان عثمان² تعاقب أربع سلاطين على كرسي العرش في ظرف ست سنوات وهو ما يؤكد على الصراع الحقيقي على الحكم. وكان آخرهم أبو عبد الله محمد بن الحسن³ الذي تميزه عهده باستقلال بعض المدن عن الدولة الأم ك: القيروان، جربة، قسنطينة، بجاية.⁴

وبوفاة هذا الأخير عام 1525م، اشتد الصراع أكثر على الحكم، فقد استولى ابنه الأصغر الحسن على السلطة رغم أحقية اخوته الثلاثة بالخلافة فقتل اثنين، أما الرشيد فاحتسب عند خير الدين بربروس طالبا منه إلحاق تونس بالباب العالي.⁵

ب- الفتن والثورات الداخلية

تتميز القبائل المنتشرة داخل التراب التونسي (رغم ولائها تارة للسلطة) بالقوة وإثارة الفوضى والمشاكل، فقد أثرت كثيرا على الأمن العام ويمكن وصفها بالآفة التي عصفت باستقرار البلاد على

¹ بن عامر أحمد، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1977م. ص 120-121

² السلطان أبو عمرو عثمان (1488-1418) تولى الحكم بعد وفاة أخيه المنتصر، تحالف مع الاسبان ضد العثمانيين. ينظر: تقي الدين أبو العباس أحمد المقرئ، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ط1، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997. ص 453-454. وينظر أيضا: خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م. ص 213.

³ أبو عبد الله محمد بن أبي محمد الحسن بن أبي عبد الله محمد المسعود بن أبي عمرو عثمان. تولى الحكم بعد وفاة ابن عمه أبي يحيى زكريا الحفصي. ينظر: الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، الدار التونسية للنشر، 1970م. ص 1090.

⁴ نيقولايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، تر: يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988م. ص 179.

⁵ ألفونزو روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تح: محمد عبد الكريم الوافي، ص 83-

مدى تاريخها الطويل. حتى أن السلطة كانت تعينهم ماديا مقابل تهدئة الأوضاع وضمان ولائها وأي محاولة لحرمانهم من الإعانات يثيرون الفوضى ويعتبرون أنفسهم أصحاب تونس الحقيقيين.¹ وقد وصفهم ابن أبي دينار بقوله: << وعاشت أولاد السعيد في البلاد كعادتهم الخبيثة وشنوا الغارة... وسمعت من يقول أنه أفتى بقتلهم أيضا وبقتل غيرهم من المحاربين من عرب إفريقية ولا فرق إلا أن هذه الطائفة أشد نفاقا منهم. وابن ناجي أفتى بتحريم مبايعتهم آلات الحرب >>.² ومن أبرز الأمثلة على هذه الحركات، الحركة الشايية³ التي ظهرت خلال النصف الثاني من القرن الخامس عشر والتي تؤسس بطريقة غير مباشرة لمركزية سياسية داخل تونس وحظيت بتجاوب من البدو والمجتمع القبلي كالحنانشة، وقد اتخذت الدولة الشايية مدينة القيروان⁴ عاصمة لها لما تحمله هذه المدينة من طابع قبلي.⁵

ج- التهديدات الخارجية

مع سقوط آخر معاقل المسلمين بالأندلس، غرناطة عام (897هـ | 1492م) ظهرت بوادر تفوق القوى الأوروبية الصليبية على الدويلات الإسلامية في الضفة الجنوبية للبحر الأبيض المتوسط،

¹ نيقولايف ايفانوف، المرجع السابق، ص179.

² ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني، المؤنس في أخبار إفريقية وتونس، ط1، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م. ص160.

³ الشايية: طريقة صوفية سياسية ظهرت بالقيروان وذاع صيتها في المشرق والمغرب العربي، كونت روابط صوفية مع المشاركة والمغاربة والأندلس. ينظر: يوسف بن حيدة، التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية "الطريقة الشايية أمودجا"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م. ص59.

⁴ القيروان: مدينة كبيرة أسسها عقبة بن نافع سنة 52هـ، تقع في سهل شاسع الأطراف ويؤكد المؤرخون أنها أجمل المدن التي بناها العرب في إفريقيا، بما قبر الصحابي الجليل أبي زمعة البلوي رضي الله عنه، من بين آثارها مسجدها الجامع وتبعد عن مدينة تونس 43 فرسخا (حوالي 250 كلم) ينظر: التهامي نقرة، القيروان عبر العصور، كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس 1964م. ص15-16. وينظر أيضا: ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج4، ص477. وكذلك: مارمول كاربخال، إفريقيا، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، دار لشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1988-1989م. ص97

⁵ عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر الى منتصف القرن التاسع عشر، تير الزمان، تونس، 2012م. ص88-89.

وخوفا من عودة المسلمين الى ملكهم الضائع واسترجاعه، تبنت الكنيسة الاسبانية المتعصبة حروب الاسترداد وحرّضت الحكام على احتلال أهم المواقع الاستراتيجية ونقل ميدان الحرب الى سواحل المغرب العربي، ما جعل الدولة الحفصية وبقية الدول المغاربية تحت تهديد حقيقي.

ونتيجةً للكشوفات الجغرافية أدى طبيعة الصراع الاقتصادي بالإسبان الى منافسة البرتغال في التوسع والسعي نحو احتلال موانئ جديدة. استغلت المملكة الاسبانية الحالة المتردية التي تعيشها المغريين الأوسط والأدنى فجهزت جيشا ضخما واستولت على المرسى الكبير (914هـ | 1505م) ثم وهران بقيادة الكاردينال كسيميناس. ثم بجاية بقيادة بيدرو نافارو¹ عام (1510م) وبهذا اقتطعت اسبانيا جزء مهم من الدولة الحفصية، أدت هزيمة الاسبان في جزيرة جربة عام (1510م) الى إبعاد الاحتلال عن تونس بصورة مؤقتة بُغية التوسع نحو طرابلس أكثر.²

وأمام هذه التوسعات الأوروبية الصليبية في المنطقة ظهرت الدولة العلية في أوائل القرن السادس عشر لتقف الند للند في وجه الصليبيين وتُحاول بعدها استخلاص الأراضي المستعمرة وفتحها من جديد، لتصبح تونس خلال هذه الفترة مجال صراع بينهما دام مدة 40 سنة (1534-1574م) لتنتهي هذه المرحلة بسقوط الدولة الحفصية، وضم الدولة العثمانية لتونس سنة 1574م.³

¹ بيدرو نافارو: ولد بمدينة بسكاي، جلبه الامبراطور فرديناند ورّقاه الى رتبة النبلاء اشتهر بجروبه ضد الإخوة بربروس واحتلاله للمدن الساحلية المغاربية. انتقل الى خدمة الملك الفرنسي فرنسوا الأول منذ سنة 1515م. ينظر: عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2018-2017. ص8.

² نيقولايفانوف، المرجع السابق، ص32.

³ محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م. ص68.

2- التصادم العثماني الإسباني

تمكن الإسبان بعد ضمهم للممالك الإسلامية بالأندلس وطرد الموريسكيين،¹ من السيطرة على أجزاء كبيرة من منطقة المغرب العربي التي لم تستطع دويلاتها الدفاع عن أراضيها والحفاظ على سلطتهم. أدى ذلك الى بروز صراع على مناطق النفوذ بين الإسبان والعثمانيين الذين قدموا لحماية المسلمين وطرد أعداء الدين، لكن اصطدموا بجمهة داخلية ممزقة رافضة للحكم الحفصي الذي انقسم الى مؤيد للإسبان يتمثل في الحسن الحفصي ضد أخوه الرشيد الذي استنجد بخير الدين.

أ- بداية التواجد العثماني بتونس

استغل خير الدين الخلافات الداخلية التي تمزق الاسرة الحفصية ليشرع في اعداد القوة اللازمة لتحقيق مشروعه في الاستيلاء على تونس لموقعها الاستراتيجي لإشرافها على المضيق الصقلي حيث تسمح له السيطرة عليها في تهديد او قطع المواصلات بين حوضي البحر المتوسط الشرقي والغربي.² بعد لجوء الرشيد الى خير الدين انتهز الفرصة فاصطحبه الى الأستانة لإقناع السلطان العثماني سليمان القانوني³ بضرورة ضبط الأمور بتونس. وافق السلطان سليمان القانوني على هذا المشروع، فأرسل له النجدة الحربية لمساعدته في تنفيذ مشروعه حيث زوّده بثمانية آلاف جندي انكشاري⁴، وثمانمائة قطعة ذهبية.⁵ وكان يحلم بإمبراطورية تضم كل بلاد المغرب ليحقق بذلك تفوق الاسلام

¹ الموريسكيون: هم المسلمون الأندلسيون الذين اضطروا الى البقاء فيها بعد سقوطها، وأُجبروا على إظهار النصرانية وترك الإسلام، وتفيد بعض المراجع بقدم حوالي 80 ألفاً منهم الى تونس سنة 1609م. ينظر: فتحي زغروت، العثمانيون ومحاولة إنقاذ مسلمي الأندلس 1492-1609م منذ سقوط غرناطة حتى الطرد النهائي، ط1، دار الأندلس الجديدة للنشر والتوزيع، شبرا، مصر، 2011م. ص29

² محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1969م. ص33

³ سليمان القانوني (1566-1495م)، ابن السلطان سليم الأول وهو عاشر سلاطين الدولة العثمانية تولى الحكم سنة 1520م، شهدت الدولة في عهده أقصى اتساع لها، ويعتبر آخر السلاطين الأقوياء. ينظر: محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م. ص198.

⁴ الإنكشارية: أصلها ينكجري أو يكيجريلر، لفظ تركي معناه العسكر الجديد. وهي فرقة عسكرية أسسها السلطان أورخان، تشكلت من الأيتام المسيحيين وأسرى الحرب، فيتم إسلامهم وتدريبهم عسكرياً، حُلّت هذه الفرقة في عهد السلطان محمود الثاني سنة 1826م | 1242هـ. ينظر: مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص50.

⁵ سامح عزيز التري، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989م. ص110.

على البحر المتوسط كله. ولم يلق خير الدين صعوبة في الاستيلاء على تونس حيث دخل بتزرت في 15 أوت 1534م ثم حلق الواد من دون مواجهة وأعلن انتهاء الحكم الحفصي وتبعية تونس للدولة العثمانية.¹

ب- الحملة الإسبانية على تونس

استغل شارلكان² فرصة تقهقر الدولة الحفصية واحتماء حاكمها الحسن الحفصي تحت ظله ليتوسع نحو تونس ويخرج منها الأتراك ويوقف زحفهم نحو الحوض الغربي، حيث سيمثل انتصاب العثمانيون بتونس خطر حقيقي على الإمارات الإيطالية البابوية. فجهز أسطولاً بأربعمئة سفينة على متنها ثلاثون ألف جندي من ضمنهم فرسان القديس يوحنا³ الذين طردهم السلطان سليمان القانوني من جزيرة رودس 1522م | 929هـ واستقروا بجزيرة مالطا.⁴

وبعد استكمال الاستعدادات للحملة والامدادات من مختلف الترسانات النصرانية (البرتغالية والإيطالية والألمانية) غادر الأسطول برشلونة في 31 ماي سنة 1535م 941هـ. وتواجه الجيشان بحلق الوادي ثم حوصرت مدينة تونس وفي يوم 17 جويلية سلمت مفاتيح المدينة قسراً لاسبان.⁵

كانت الظروف ملائمة لاحتلال تونس للأسباب التالية:

1 DE la Primaudie : Documents inédits ...Lettre de l'ingenieur Librano à sa Majesté Bougie , 19 janvier 1543 , in R.A , Alger 1877 ,T21 , p 345 , 346 .

² الامبراطور شارلكان ملك اسبانيا والامبراطورية الجرمانية من أشهر ملوك أوروبا في العصر الحديث، قام بحروب كثيرة ضد الدولة العثمانية في البحر الأبيض المتوسط كما احتل تونس سنة 1535م وقام بحملته الشهيرة على الجزائر سنة 1541م وساهم في توطيد الاستعمار الاسباني في أمريكا الوسطى والجنوبية. ينظر: خير الدين سعدي، الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1775م) من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، ديسمبر 2017. ص99.

³ فرسان القديس يوحنا: بدؤوا نشاطهم كجمعية خيرية لخدمة المسيحيين المتوجهين إلى القدس، ثم نزحوا من المشرق إلى جزيرة رودس اليونانية وأسسوا بها مملكة تحت رعاية البابا، ثم خرجوا منها بعد احتلالها من طرف العثمانيين سنة 1522م، وطلبوا من الامبراطور شارلكان الإقامة في مالطا، مقابل مساعدته في حروبه ضد المسلمين فكان لهم ذلك. ينظر: عمر محمد الباروني، الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس، ليبيا، 1952م. ص75-78.

⁴ محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م. ص697

⁵ ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص90

- انشغال الدولة العثمانية بالتراع مع الفرس.¹
- توقف الصراع في اوروبا ووعده فرانسوا الاول ملك فرنسا شارل لكان بالحياد.
- إلحاح البابا ومطالبة شارل لكان باحتلال تونس والمحافظة عليها.
- إرسال بعثة تجسسية من قبل الحكومة الاسبانية لدراسة الاوضاع في تونس للاستعداد لفتح ابوابها امام الغزاة الاسبان.

ذكر عبد الوهاب حسن حسني في كتابه ما يلي: (ولما أيس الحسن من نصرة الأعراب توجه الى اسبانيا مستنجدا بملكها شارل لكان فأجاب ندائه وجهز عمارة قوية قادها بنفسه فترل على حلق الوادي ومنها زحف الى الحاضرة فدخلها سنة 942هـ | 1554م وأمر جيوشه بنهب المدينة، فاستباحوها بالقتل والأسر والسبي حتى قيل أن عدد سكان تونس كان مائة وثمانين ألفا قتل منه الثلث واسر الثلث ونجا الثلث. ومن أفضع ما ارتكبه عساكر الاسبان ان هجموا على جامع الزيتونة وبددوا ما كان يوجد به من نفائس المخطوطات في المكتبة العبدلية ... ونصب شارل لكان الحسن على كرسي الحفصيين... ثم أن شارل لكان قبل مبارحته للحاضرة أمضى معاهدة مع الحسن الحفصي بتاريخ 6 صفر سنة 942 تقاضي الترخيص للاسبانيول بسكنى جميع أنحاء القطر واقامة طقوس دينهم والتنازل لهم عن مدائن عنابة وبتزرت وحلق الوادي وأن يدفع الحسن جباية سنوية قدرها اثنا عشر ألف دوكة)²

قبل مغادرة شارل لكان تونس أبرم معاهدة مع الحسن الحفصي في 6 أوت 1535م وقد نصت على:

- إطلاق سراح جميع الأسرى النصرى بدون فدية.
- منح الأوروبيون حق المتاجرة والإقامة بتونس.
- حرية بناء الكنائس.
- تعهد تونس بالتوقف عن الجهاد البحري، وعدم تزويد البحارة بالموث والسلاح وعدم استقبالهم.
- التنازل عن حلق الوادي لإسبانيا.

¹ يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، تر: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988م. ص292.

² عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953م. ص

- دفع إتاوة سنوية تقدر باثني عشر ألف ريال إسباني ذهبي.
 - التنازل نهائيًا لإسبانيا عن حق صيد المرجان.
 - الاعتراف بالسيادة المطلقة للإمبراطور شارل الخامس على تونس.
- وفي المقابل وعدت إسبانيا بحماية نظام الحسن الحفصي ضد جميع أعدائه.¹
- وبهذا أحكم الأسبان سيطرتهم المطلقة على تونس.

ج- الفتح العثماني لتونس

ذكرنا سابقًا استيلاء خير الدين على تونس وابعاد السلطان الحفصي مولاي الحسن سنة 1534م، وكيف أعاد شارل كان هذا السلطان سنة 1535م بعد حملته الكبيرة، وكيف أصبحت تونس مقيدة بمعاهدة 6 أوت 1535م، وأصبح حلق الوادي قاعدة إسبانية. وعلى الرغم من الدعم الذي لقيه مولاي الحسن من إسبانيا، فإنه سرعان ما عادت الفوضى إلى تونس، وكثير معارضيه، الذين أجبروه عن التخلي عن السلطة لصالح ابنه حميدة سنة 1542م، وفر مولاي الحسن إلى جربة ومنها إلى إيطاليا.

بعد ذلك انتصر العثمانيون عام 1560م على الأسبان في جزيرة جربة التي كانوا قد احتلوها سنة 1559م. ولم يكن حميدة أفضل من أبيه، فقد ربط مصيره بالأسبان، ولبى رغبتهم وتجاهل رعيته، وطلبت هيئة تونسية النجدة من السلطان العثماني.²

¹ ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص 90-91.

² نيقولايفانوف، المرجع السابق، ص 248-249.

أثارت معركة ليبانت 979هـ | 1571م،¹ حفيظة العليج² علي³ فأعاد ترتيب وتنظيم جيشه، لهذا أصدر السلطان العثماني أوامره الى وزيره سنان باشا⁴ وقبودانه علي باشا بالتوجه الى تونس لاستعادتها وفتحها نهائيا.⁵

في عام 1574م توجهت قوات عثمانية من طرابلس الغرب والجزائر والقيروان وانضمت اليها قوات عثمانية من تركيا بقيادة سنان باشا والعلج علي. ونجح العليج علي في الاستيلاء على حلق الوادي بعد ان فرض عليها حصارا محكما، ونجح سنان باشا في الاستيلاء على تونس، وتلا ذلك اخضاع البلاد التونسية كلها.⁶

وبذلك انطوت صفحة الحفصيين والإسبان في تونس. وأصبحت تونس إيالة⁷ عثمانية ابتداء من سنة 1574م 25 جمادى الأولى 981هـ.⁸

¹ معركة بحرية وقعت في 7 أكتوبر 1571م قرب ساحل مالطا بين العثمانيين وتحالف الدول الأوروبية بقيادة دون خوان النمساوي. ينظر: نجاة سليم المحاسيس، معجم المعارك التاريخية، ط1، دار زهوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م. ص 455-456.

² اسم يُطلق على المسيحي الذي يعتنق الإسلام.

³ العليج علي(1587-1508م): أصله من كلابريا، يُلقب بالفرطاس، أُسر في سن العشرين، اعتنق الإسلام وعمل بحارا ثم انضم الى قوات درغوث في طرابلس، من أهم إنجازاته المشاركة في حرب مالطا وليبانت ومساعدته لمسلمي الأندلس وتحريره لتونس، عُيّن حاكما لإيالة طرابلس ثم بايلربايا للجزائر عام 1568م. ينظر: صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012م. ص 90.

⁴ سنان باشا (1596-1506م): قائد بحري عثماني، انضم الى الجيش العثماني في سن مبكرة ثم تقلد مختلف الرتب العسكرية، عُيّن واليا على مصر 1568م. قاد الحملة العثمانية لتحرير تونس 1574م. ينظر: محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، مج: 1، تح: علي الشنوفي، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999م. ص 413.

⁵ صحابات زهيرة، جهود العليج علي باشا الجزائر في عثمنا تونس على ضوء مهمة دفترى، مجلة العبرة للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مج:6، العدد 01، جامعة الجيلالي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2023م. ص 204.

⁶ ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص 176-177.

⁷ الإيالة: مصطلح عثماني يطلق على أكبر التقسيمات الإدارية في الدولة العثمانية، فقد كانت الدولة مقسمة الى إيالات والإيالات إلى سناجق والسناجق إلى أفضية والأفضية الى نواح والنواحي الى قرى، ويشرف على الإيالة أمير الأمراء ثم الوزراء، حيث كانوا يمثلون السلطان ويجمعون بين الحكم الإداري والعسكري بالإيالة ولهم النفوذ المطلق ما عدا الحالات القضائية. ينظر: سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، د.س. ص 45.

⁸ عبد الوهاب حسن حسني، المرجع السابق، ص 141.

3- تونس إيالة عثمانية

أدت حملة ضم تونس التي قادها سنان باشا الى استكمال عملية عثمانة إيالة، فقد انهارت كل المؤسسات الاجتماعية والسياسية الحفصية، وانتقلت السلطة الى العثمانيين الذين سيطرة نُخبهم على المناصب التي حظي الموريسكيين أيضا بجزء منها فقد وصفهم المؤرخ التونسي توفيق باشروش أنهم أسسوا في تونس (إسبانيا الصغيرة في المنفى).¹ بينما أُزيح السكان الأصليين من مختلف المناصب المهمة.²

يصف ابن دينار الترتيبات التي حدثت بعد ضم إيالة تونس قائلا: (السلطان ابن نسل سلطان السلطان سليم بن سليمان، خلد الله سلطته... ولما تم له هذا الفتح الذي حصل له به الربح والنجح بعث بالخبر الى الأبواب العالية... ومهد البلاد وأمن العباد، وقمع وخافه أهل الفساد، وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار الينشرية وهو الواحدة بعد المائة على ما هو متعارف بينهم... ولما تمكن قدم العسكر العثماني في تونس كما ذكرنا ورتب الوزير سنان باشا قوانين صارت من بعده تابعة الرسوم و اطهر قاموس الملك وقدر فيها المرتب المعلوم رجع الى دار سلطانه بالديار الرومية وخلف هذا العسكر المعبر عنه بالينشرية فضبطوا ملك تونس ودعمت قواعدهم... واصلحوا ما فسد من بنيان قلعتها وسكنوها وجعلوا دار الخلافة بها وهي المعبر عنها بدار الباشا، وكذلك الديوان كان سسك وجعلوا قوانين يتميزون بها وخذوا في أول أمرهم في الأحكام حذو ديوان الجزائر. والمتصرف في أحكام البلد باشا³... ودونت الدواوين وخرجت الولايات والجبات ونشرت في الإقليم الافريقي باسم السلطنة العثمانية الرايات، وترنم الخطباء على المنابر باسم السلطان العثماني، وضرب اسمه على الدرهم والدينار، وأضيفت الى مملكته الشريفة هذه الديار واستمرت على الولاية العثمانية، وجاؤوا من القسطنطينية زعماء

¹ Taoufik bachrouch. Fourmation socialebarbaresque et pouvoir à tunis au xvile siècle, tunis, 1977. P 35.

² نيقولايف ايفانوف، المرجع السابق، ص257.

³ الباشا: أصلها باش بمعنى الرأس في اللغة التركية وهي من ألقاب التشريف التي شاع استعمالها في العهد العثماني، منح في البداية لكبار ضباط الجيش والبحرية ثم أطلق على الوزراء وولاة وكبار الأعيان ورجال الدولة، وقد ألغي مع انهيار الدولة العثمانية. ينظر: مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص65.

الرؤساء وتحكمت فيها الباشوية، وجعلوا اصطلاحا على عادة أهل الجزائر التحكم في الديوان¹ والعسكر جماعة البلوكباشية².

بأمر من السلطان العثماني سليم الأول³ تم تعيين حيدر باشا⁴ واليا على الإيالة وكُلف بسنّ نظام مشابه للنظام العثماني السائد في الجزائر، فعم البلاد نظام صارم استند إلى مبادئ الشريعة الإسلامية. فقد أنشئ ديوان كبير وديوان صغير وشُيدت ثكنات للقوات الإنكشارية وأخرى للقوات المحلية، وتم إلغاء نظام الاقطاعية الصغيرة واستبدل باستيلاء الدولة على الأراضي الزراعية ومعظم العقارات، إضافة إلى إصدار نظام ضريبي وبعض الالتزامات المفروضة على التجار والمهنيين⁵.

أمّا ألفونصو روسو فيقول (وقبل عودة سنان باشا إلى الأستانة، نراه يقوم بتنظيم إدارة تونس وحكومتها، حيث ترك قوة عثمانية فيها، بلغ تعدادها أربعة آلاف رجل، مقسمين إلى أربعين فئة، وعيّن على رأس كل منها رئيسا مُنح لقب داي، فانتخب أربعون دايًا من صناديد الرجال الغزاة المجاهدين.

وعُهد برئاسة الحكومة إلى رئيس خاص، يحمل لقب باشا، ووقع اختيار سنان باشا، لشغل هذا المنصب، على حيدر باشا، عامل القيروان. وتم تعيين قاض لإجراء الأحكام الشرعية بين الناس، حيث أوكل ذلك إلى العلامة حسين أفندي. وأنشئ ديوان، أو مجلس وصاية، اقتبس نظامه عن ديوان مصر وديوان الجزائر. وتم تعيين رمضان باي أمير لواء لضبط الأوطان وتقرير رعاها واستجلاب جباياها. وصيغت قوانين ولوائح مختلفة تحدد رواتب العساكر ومراتب كبار

¹ الديوان: حكومة منظمة تشمل الوزراء وممثلي السكان (الأعيان) ونخبة المدن قامت بدور كبير في توجيه وتسيير مؤسسات الإيالة.

² ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص188-189.

³ سليم الأول: ابن بايزيد الثاني تولى الحكم سنة 1512م بدعم من الإنكشارية، يعد من السلاطين الأقوياء في تاريخ الدولة العثمانية، ضم في عهده الشام ومصر والجزائر للدولة العثمانية وهو أول سلطان عثماني يلقب بخليفة المسلمين، توفي سنة 1520م. ينظر: نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الإنكشارية، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992م. ص46-47.

⁴ حيدر باشا: قائد عسكري عثماني عمل واليا على القيروان، بعد سيطرة العثمانيين عليها سنة 1558م إلى 1574م، كما قاد الجيش المنطلق من القيروان لتحرير تونس من أيدي الإسبان، عُيّن حاكما عليها بعد إلحاقها بالدولة العثمانية. ينظر: احمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.س، ص210.

⁵ نيقولايفيفانوف، المرجع السابق، ص257.

الموظفين، وغير ذلك من الشؤون الإدارية التي حددت حتى نوع لباس الضباط. وأما التصرف في أحكام مدينة تونس فقد انيط به الباشا وحده، فيما جعل أمر العسكر بيد أغواتهم الذين كانوا هم وحدهم المباشرون لسلطة الدايات. وصارت الخطبة فوق منابر المساجد باسم السلطان العثماني، الذي ضرب باسمه كذلك الدينار والدرهم).¹

¹ ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص105.

ثانيا: مراحل الحكم العثماني بتونس

بعدها أتم سنان باشا فتح تونس عام 1574م خلف فيها نظاما سياسيا يترأسه ديوان
عثماني محض يجمع النخبة المكلفة بتسيير البلاد. و حدثت ثورة الجند عام 999هـ | 1591م.¹
حيث ثارت مجموعة من الجند على الديوان، أدت تلك الحادثة الى بداية أول حكم عثماني في
تونس.²

1- عهد الدايات (1591-1631م)

تميز نظام العهد السابق بانقسام السلطة بين الباشا ومجلس الديوان صاحب القرار العسكري،
وغدا منصب الباشا شرفيا، ولاستحالة إقامة ديمقراطية عسكرية تحولت سلطة الدايات الى
أوطوقراطية عسكرية تمحورت فيها كل السلطة حول الدايا، وانتهى الأمر بانفراد عثمان داي
بالحكم سنة (1598-1610م).³
تميز عهد عثمان داي بما يلي:

- تطهير المناصب الحساسة ونفي بعض المسؤولين الفاسدين.
- استحداث مناصب جديدين: - منصب الباي. - منصب القبطان (رئيس بحرية الإيالة).
- انتشار وباء الطاعون خلال سنتي 1604-1605م المسمى بوباء الريشة.
- استقبال المورسكيين الذين طردتهم حكومة فيليب الثاني من اسبانيا سنة 1609م.
- تزييف عملة البلاد.⁴

¹ ثورة 1591م: هذه الثورة قام بها جنود الإنكشارية، إذ قاموا بالقضاء على الضباط الكبار أعضاء الديوان ونصبوا في
مكاهم قادهم "الدايات". ينظر: محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تع: محمد
الشاوش ومحمد عجيبة، ط3، سراس للنشر، تونس، 1993م. ص71.

² ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص106.

³ دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشاط الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003م.
ص57.

⁴ ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص109-110.

2- عهد البايات المراديين (1702-1631م)

عين يوسف داي مراد باي¹ حاكما على تونس لتتحول السلطة من يد الداوي الى الباوي²، وقد نجح مراد باي في تأسيس الأسرة المرادية الحاكمة لتونس بعد أن ورث الحكم لأبنائه من بعده.³

أ- أهم البايات المراديين. (وورد تونس في عهد البايات المراديين)

- مراد باي: أحد ضباط رمضان باي، كان اسمه جاك سانتي سباه القراصنة التونسيين من كورسيكا، اشتراه رمضان باي وعينه قائدا للمحلة سنة 1613م، أسس أول سلالة حاكمة في تونس 1631م بفضل تفوق البايات سياسيا على الدايات، توفي سنة 1640م. وأوصى بمنصب الباي لابنه حمودة.

- حمودة باشا المرادي: هو ابن مراد كورسو باي تولى منصب الباي وراثته عن أبيه الذي اختاره لهذا المنصب سنة 1631م وقد نجح في مهامه السياسية والعسكرية وأرسى تقاليد الحكم المرادي في تونس وشهدت فترة حكمه ازدهارا وأمنا غير مسبوقين، وقد عمل على الحصول على منصب الباشا، وتمكن من ذلك سنة 1658م وجمع بذلك بين السلطتين السياسية والعسكرية وقام بإضعاف دور الداوي، تخلى طواعية عن الحكم لأبنائه الثلاثة سنة 1663م، توفي سنة 1666م.⁴

- مراد باي الثاني: تولى الحكم بعد وفاة أبيه حمودة باشا المرادي سنة 1666م، حكم تونس لمدة تسعة سنوات اهتم بالأسطول البحري الذي شهد تطورا في عهد إضافة الى

¹ مراد باي: مؤسس الأسرة المرادية في تونس، كان اسمه جاك سانتي سباه القراصنة التونسيين من كورسيكا، اشتراه رمضان باي وعينه قائدا للمحلة سنة 1613م، ثم حاكما لتونس 1631م، توفي سنة 1640م. ينظر: Saadaoui ahmed, palais et résidences des mouradites: apport dès l'académie des inscriptions, hmprimerie de boccard, paris, France, 2006. P637.

² الباوي: لفظة تركية تعني الغني أو المالك، كانت تضاف في بلدان آسيا الوسطى لأسماء الأشخاص دلالة على غناهم، وأطلق اصطلاحا على حكام تونس في العهد العثماني. ينظر: حسان حلاق وعباس الصباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م. ص37.

³ الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977م. ص109.

⁴ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص265، 252.

بنائه للمدرسة المرادية، توفي سنة 1675م بقصر باردو¹، وترك ثلاثة أولاد محمد وعلي ورمضان.²

- مراد باي بن علي الثالث: (1699-1702): استولى على الحكم بعد انقلابه على عمه رمضان باي اشتهر بجوره وتجبره على الرعية حتى أطلقوا عليه لقب مراد بوبالة.³ وفي سنة 1700م أرسل هدية الى حاكم الجزائر فردّها عليه وأظهر له العداوة فاستشاط غضبا وعزم على الدخول في حرب مع الجزائر، وبعد محاصرة قسنطينة انهزم مراد باي امام الجيش الجزائري وقتل من جنوده الكثير.
- حاول السلطان العثماني مصطفى الثاني (1703-1695) التدخل في اصلاح الاوضاع الداخلية ووقف القتال بين الجزائر وتونس. ولكن مراد الثالث لم يستحب للأوامر السلطانية، وحينئذ اوعز السلطان الى ابراهيم الشريف،⁴ اغا الصبايحية بالتخلص من مراد الثالث، ونجح في ذلك سنة 1702م.⁵

ب- أهم إنجازات الأسرة المرادية

يمكن أن نلخص إنجازات الحكام المراديين فيما يلي:

- أول حكم وراثي بتونس العثمانية مخالف للنظام الإداري المعتمد بالبلاد.
- إنشاء مؤسسة بيت خازن دار التابعة للباي واعتماد نظام اللزمة.⁶

¹ قصر باردو: واقع على بعد فرسخ من مدينة تونس هو مكان محصن ذو هندسة رائعة، يتميز بنظافة غرفه المزخرفة وبأحواض الرّخام والسواقي الكثيرة. ينظر: هابنسترايت، رحلة العالم الألماني الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر: تق: تع: ناصر الدين سعيدوي، د ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، د س، ص 115.

² ابن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م. ص 109.

³ مراد الثالث بوبالة: سيرة هذا الباي غير محمودة بين التونسيين بسبب جوره، فقد كان سفاكا للدماء، كان له سيف اسمه "البالة"، لا يريجه يوما من إراقة الدم، فإذا مرّ عليه زمن ولم يقتل أحد قال إن البالة جاعت، فلقب بـ "مراد بوبالة".

⁴ إبراهيم الشريف: آغا الصبايحية الأتراك في عهد مراد باي الثالث قام بالانقلاب عليه وقتله سنة 1702م، ثم تولى منصب الباي عوضا عنه، تسببت هزيمته ضد الجزائر بسجنه ثم قتله عام 1705م. ينظر محمود مقديش، زهرة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ط1، تح: علي الزاوي ومحمد محفوظ، مج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م. ص 146-155.

⁵ عبد الوهاب حسن حسني، المرجع السابق، ص 145-146.

⁶ وهو أن يقرض شخص مبلغ مالي من مداخيل الدولة بتعهد.

- إنشاء قاعدة عسكرية لتثبيت الحكم العثماني بالايالة والاعتماد على الفرق العسكرية المحلية.

ج- نهاية الحكم المرادي للبلاد

عرفت تونس في أواخر فترة حكم العائلة المرادية اضطراب الأمن الداخلي للبلاد والتعدي على الأهالي وتجبر حاكمها (مراد باي الثالث بن علي. 1699-1702م) الذي اشتهر بإراقة الدماء ولقبه التونسيون بـ"مراد بوبالة". وكان يحتقر العلماء ويضايقهم فمن مدحه قرّبه ومن نصحه ووعظه هدده، كما أظهر حقه على حكام الجزائر الأتراك وانهمزم أمامهم في قسنطينة، فنصحه السلطان العثماني مصطفى الثاني بوقف القتال، إلا أنه لم يستجب، فأمر السلطان إبراهيم الشريف آغا الصبايحية بالتخلص من مراد الثالث وهو ما حدث عام 1702م، وبموته انتهى حكم الأسرة المرادية.¹

¹ محمد الهادي الشريف، المرجع السابق، ص71.

3- عهد البايات الحسينيين

أ- بداية الحكم الحسيني

خلال سنة 1704م وقعت معركة بين الجيشان التونسي والجزائري، أُسر فيها إبراهيم الشريف، وعمّت الفوضى البلاد فنصب أهل الحل والعقد الباي حسين بن علي¹ (1740-1705م) على حكم تونس، قام بدوره بإرساء حكم وراثي للبلاد تحكّمه الأسرة الحسينية التي استمر حكمها الى غاية استقلال تونس عن الحماية الفرنسية وإعلان الجمهورية سنة 1957م.²

ب- أهم حكام تلك الفترة

- حسين بن علي تركي: هو ابن لعلج يوناني، تعود أصوله الى جزيرة كنديا باليونان، جاء والده الى تونس مع بداية حكم المراديين، شغل وظيفة خازن دار كما أشرف على دار الجلد اختير بايا لتونس بعد القضاء على إبراهيم الشريف سنة 1705م، قُتل عام 1740م.³

- حمودة باشا الحسيني (1759-1813م): وُلد بالجزائر سنة 1759م علمه والده القرآن الكريم والفقّه ربّه المؤرخ صاحب الكتاب الباشي حكم تونس مدة ثلاثا وثلاثين سنة، بدأ ممارسة شؤون السلطة في سن مبكرة ثم تولى قيادة المحلة سنة 1777م، بويع بايا على تونس خلفاً لأبيه علي بن الحسن سنة 1782م، وعُرف عنه بالحزم والعزم والإصلاح ويعتبر أشهر بايات تونس في العصر الحديث، شهدت تونس خلال فترة حكمه مواجهة الحملات الأوروبية، استولى على طرابلس سنة 1795م، واسترجع

¹ حسين بن علي: أصله من جزيرة كنديا باليونان قدم والده الى تونس مع بداية حكم المراديين، ترقى في مختلف الرتب العسكرية، اختير بايا لتونس بعد القضاء على إبراهيم الشريف سنة 1705م، أسس أسرة حكمت تونس لأزيد من قرنين، قُتل عام 1740م، بعد صراع مع ابن أخيه علي باشا. ينظر: ياسين صنديد، الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا 1117-1197هـ | 1705-1782م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير: تخصص تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2012-2013م. ص22.

² محمد السعيد عقيب - محمد العيد قدع، الإيالة التونسية والسلطنة العثمانية مظاهر التبعية وتحليلات الانفصال، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمه لخضر. ص165.

³ ابن أبي الضياف، ج2، المصدر السابق، ص86.

جربة، كما دخل في حرب مع الجزائر (1807-1806م) وكانت آخر حرب بين البلدين.¹

- **حسين باشا باي:** حكم خلال فترة (1824-1835م) شهدت تونس خلالها تزايد التدخل الأجنبي في شؤونها الداخلية، أنشأ مدرستين الحسينية والنخلة وكان أول من اتخذ قصر باردو مقرا رسميا لحكومة الإيالة وبنى به قصرا ومسجدا.
- **المشير أحمد باي:** تولى الحكم سنة 1837م خلفا لأبيه مصطفى باي، يُعرف هذا الباي بأنه رائد التجديد والحداثة في تونس نظرا للإجراءات الكثيرة في عديد المجالات كإنشاء جيش نظامي على الطراز الأوروبي الحديث، بناء مدرسة باردو الحربية سنة 1840م وبداية التعليم والتدريب العسكري وإلغاء العبودية في تونس سنة 1842م كما قام بزيارته الشهيرة الى فرنسا سنة 1846م.²
- **محمد باي ابن حسين باي:** ثاني من لُقّب بالمشير، سافر بالمحلة في عهد مصطفى باي وتقلّد ولاية العهد في عهد أحمد باي، ولما تولى حكم الإيالة سنة 1855م أقر سائر رجال الدولة في مناصبهم، تميز عهده بـ: إصدار وثيقة عهد الأمان تحت ضغط الدول الأوروبية وتخفيض أعداد العسكر النظامي كما قام بفرض ضريبة المجبي وقدرها 36 ريالاً لمدة مؤقتة ودفعها الأهالي رغما عنهم.³

ج- أهم الإنجازات

- لم تبلغ تونس الازدهار والتقدم مثل الذي بلغته أيام حمودة باشا (1814-1782م)
- إنشاء دار الجلد والمستفيد الأول من مشترياتهما العائلات الحسينية الحاكمة وأتباعها.⁴

¹ رشاد الإمام، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814م، ص96، 99، 177، 191. ينظر أيضا: بشرى ناصر هاشم الساعدي وميساء لؤي عبد الله، حمودة باشا ودوره الإصلاحية في تونس 1782-1814م، مجلة الآداب، ملحق2، العدد 127، ديسمبر 2018م.

² Charles simond, tunis et la tunisie, poitiers-typographie oudin, paris, France, 1887, p63.

³ علي اللطيف، انتفاضة الساحل التونسية 1864م محلة زروق ومعركة القلعة الصغرى، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2012م. ص141.

⁴ محمد الحبيب عزيزي، مؤسسة دار الجلد في العهد الحسيني بالايالة التونسية، العدد 06، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر. ص162.

- تأسيس محمد الصادق باي للجنة مالية دولية سنة 1870م. وضمت جهازين أساسيين:
 - اللجنة التنفيذية ولجنة المراقبة.¹
 - إحداث منصب الوزير الأول.
 - إبعاد الأتراك عن مركز السلطة وتعويضهم بالتونسيين.
 - تطوير الجيش ووضع أولى لبنات تحديثه.

¹ علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سراس للنشر، تونس، 1986. ص109.

ثالثا: التنظيم العسكري في تونس العثمانية

1- النواة الأولى للجيش التونسي ومؤسساته

أ- الرعيل الأول للجيش

تُعتبر الحملة التي قادها سنان باشا الى تونس 1574م. والتركيبه العسكرية التي خَلَّفها هي النواة الأولى للجيش التونسي.

يقول ابن أبي الضياف: (ولما استقرت قدمه بالحاضرة... رتبّ قوانين يرجع إليها باعتبار الوقت والحال في الأمور الضرورية وأبقى دارا من الينجرية عددها أربعة آلاف مقاتل ... وجعل على كل مائة منهم أميرا يسمى الداى ... وجعل أمير لواء لضبط أوطان المملكة واستخلاص جبايتها ويسمى الباى مرادف لأمير...)¹.

لم تتفق المصادر التاريخية على عدد الجنود الذين ضمتهم الحامية العثمانية، لهذا نستعرض بعض أقوال المؤرخين على هذه التركيبة.

يقول ابن أبي دينار: (وترك في تونس من العسكر العثماني دارا من ديار الينشرية وهو الواحدة بعد المائة على ما هو متعارف بينهم... وخلف هذا العسكر المعبر عنه بالينشرية فضبطوا ملك تونس ودعمت قواعدهم).²

أما ألفونصو روسو فيقول (وقبل عودة سنان باشا الى الأستانة، نراه يقوم بتنظيم إدارة تونس وحكومتها، حيث ترك قوة عثمانية فيها، بلغ تعدادها أربعة آلاف رجل، مقسمين الى أربعين فئة، وعيّن على رأس كل منها رئيسا مُنح لقب داى، فانتخب أربعون دايا من صناديد الرجال الغزاة المجاهدين).³

وذكر الباجي المسعودي ما يلي: (لما فتح الوزير سنان باشا الحضرة وقطع دابر الكافرين وعزم على العود للقسنطينية رتب أربعة آلاف وقيل ثلاثة من عسكر الترك لحراسة البلاد وتأمينها وجعل لكل مائة منهم أميرا يسمى الداى).⁴

¹ ابن أبي الضياف، ج2، المصدر السابق، ص30-31.

² ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص188.

³ ألفونصو روسو، المرجع السابق، ص105.

⁴ الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط1، تح وت: محمد زينهم عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر،

2013م. ص209.

في حين ذهب الوزير السراج عكس ما ذكر سابقا، فهو أشار أن أربعة ألف تم تدعيمها في عهدة يوسف داي (1610-1637م) أثناء نزاعه مع الجزائر.¹ على الرغم من العدد اليسير الذي لم يتجاوز 4000 ألف جندي فقد اعتبره بعض المؤرخين أنه غير كافي لضبط الأمور، إلا أن الإنكشارية أثبتت كفاءتها وكانت في مستوى تطلعات الباب العالي.

ب- المؤسسات العسكرية

- **الديوان:** عبارة عن هيئة تضم رؤساء الفرق والإمام الأعظم و شيخ الإسلام وقاضي القضاة وكبار الوزراء والمستشارين من العلماء والأعيان.² ويكون النظر في غالب الأحكام في دار الديوان حيث يحضرون في كل يوم ساعة من النهار.³ فبعدها أتم سنان باشا فتح تونس عام 1574م خلف فيها نظاما سياسي يترأسه ديوان مكلف بتسيير البلاد، وهذا الديوان مماثل لما هو في الجزائر. وألغي الديوان في 13 نوفمبر 1856م.⁴

يقول ابن أبي دينار: (وجاءوا من القسطنطينية زعماء الرؤساء وتحكمت فيها الباشوية، وجعلوا اصطلاحا على عادة أهل الجزائر التحكم في الديوان والعسكر جماعة البلو كباشية).⁵ من صلاحيات الديوان:⁶

- الإشراف على تجهيز المحلة
- تجنيد الجنود بمختلف أعمارهم
- ترتيب ومداومة نظام العسة
- مراقبة الأسواق

¹ الوزير السراج، ج2، المصدر السابق، ص16.

² مصطفى عبد الكريم، المرجع السابق، ص192.

³ أحلام بالظاهر ونجاة دباخ، دور الديوان السياسي في إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، الجزائر، 2017-2018م، ص72.

⁴ توفيق البشروش، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675م، شركة أوربيس، تونس، 1992م، ص58.

⁵ ابن أبي دينار، المرجع السابق، ص188-189.

⁶ سلوى هويدي، أعوان الدولة بالإيالة التونسية: الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات (1735-1814م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2014م، ص18.

- الفصل في الخلافات التي تنشبت بين العساكر الأتراك حيث كان للديوان حق الدعوة على كل الأشخاص ما عدا الداوي والباشا

- استقبال الوفود

- إبرام المعاهدات

- دار الباشا: يسيرها الوالي أو كاهيته وتعتبر الجهاز المركزي الرسمي للدولة، ظهرت مع بداية التواجد العثماني بالبلاد، تضم عددا من الأعوان العسكريين والإداريين الأتراك إضافة إلى ممثلي السكان المحليين وبعض طوائف المجتمع، تم تسييرها من طرف العائلة المرادية والحسينية بعد بداية الحكم الوراثي.

تتكفل هذه المؤسسة بالشؤون المالية والاقتصادية لعاملي القطاع العسكري فهي المسؤولة عن رواتبهم ومستحققاتهم والمنح المدفوعة لهم، إضافة إلى مصاريف المحلة.¹

ويتكون دار الباشا من خازن دارين وكاتبينها وباش كاتب وعشرة كتّاب وصاحب الطابع وأغوات الجند وخوذة عسكر زاوارة وشيخ المدينة ومقدم اليهود ووكيل أملاك المدينة.²

¹ سلوى هويدي، المرجع السابق، ص19.

² توفيق البشروش، المرجع السابق، ص56.

2- هيكل المؤسسة العسكرية

كما أسلفنا الذكر سابقا أن الديوان هي المؤسسة العليا في البلاد، تندرج تحت هذا الجهاز رتب عسكرية سنذكر أهمها على النحو التالي:

- **الآغا:** قائد الجيش وقائد جميع الإنكشارية في تونس، كما أن الآغا يشغل أيضا رئيس الديوان ويسمى في هذه الحالة آغا الكرسي، وينتخب لمدة ستة أشهر ويساعده نائب يسمى الكاهية¹، تعادل رتبة آغا الكرسي رتبة أمير اللواء، وهو منصب رفيع يمكنه من التواصل مع الباي مباشرة، وتذكر مراجع أخرى أن هذه المرتبة تعادل مرتبة جنيرال في سلم الرتب العسكرية المعاصرة، وبحسب المؤرخ الألماني دوهامر فإن الآغا بحكم صلاحياته العسكرية الواسعة، له سلطة تعيين كل قادة الجيش من رتبة سكبان باشي نزولا الى رتبة باش شاوش، أما الكاهية هو نائب الآغا فإن باقي الرتب القيادية يتم تعيينها من طرف السلطان.

تصدر القرارات العسكرية الميدانية من طرف الآغا رئيس الديوان الذي يولي أهمية للجانب العسكري على المجالات الأخرى الاقتصادية والسياسية ... نظرا للأوضاع الأمنية الخارجية والداخلية، إضافة الى الفترة القصيرة المحددة لولاية الباشا المقدرة بثلاث سنوات.²

- **آغا العسة بالقصر:** الرتبة الأدنى من مرتبة آغا كرسي (رئيس الديوان) مباشرة.³
- **آغا بأقاليم الإيالة:** هو الآغا المكلف بالحماية العسكرية لإحدى جهات الإيالة، التي كانت مقسمة الى عدة نواحي.⁴
- **بولكباشي:** يعادل رتبة رائد.⁵

¹ الكاهية: هو المكلف بتطبيق أحكام العدالة بحيث يقوم بتنفيذ الأحكام فورا، ويتم الفصل في كل القضايا بسرعة، وغالبا ما يكون العقاب ضربا بالعصا. ينظر: هابنسترايت، رحلة العالم الألماني الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر: تق: نع: ناصر الدين سعيدوني، د ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، د س، ص 116.

² دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص 56.

³ توفيق البشروش، المرجع السابق، ص 53.

⁴ سلوى الهويدي، المرجع السابق، ص 29.

⁵ توفيق البشروش، المرجع السابق، ص 53.

- الأوداباشي: رتبة للضباط القدامى الذين لديهم خبرة التدريب، يشرف على مجموعة عسكرية تتكون من 20 إلى 30 جندي، كما يشرف على غرفة الجنود، وله 6 وظائف عسكرية تختلف حسب المكان والزمان هي: رئيس الثكنة، وكيل الخرج، البيرقدار، حامل الراية، الباش إسكي رئيس الحرس.¹
- اليولداش:² هي الرتبة الأدنى في سلم الرتب العسكرية، وتطلق على الجندي المنضم للجيش حديثاً، ويختص بمجموعة من الأعمال داخل الثكنة كالمناوبة.

¹ غسان عبد الله مجول، النظام الداخلي للجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 17، جامعة تكريت، العراق، ديسمبر 2013م. ص285.

² عبارة عن كلمة تركية تعني الرفيق أو الزميل تُطلق على الجندي البسيط، حيث يبدأ عمله ثم يقضي ثلاث سنوات حاملاً لقب يني يولداش، أي الجندي الجديد وفي هذه المرحلة يوضع تحت تصرف المحندين القدماء لتدريبهم ثم يتدرج في الرتبة ليصبح أسكي يولداش. ينظر: خليفة حمّاش، العلاقات بين الإيالة الجزائرية والباب العالي (1798-1830م)، رسالة ماجستير في العصر الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م. ص100. ينظر أيضاً: وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م. ص69-70.

3- مراحل التدرج في الجيش

حين تحتاج الإيالة الى تدعيم في صفوف الجيش، فإن الباب العالي يُصدر فرمان¹ لإجراء عملية الدوشرمة² التي تتم فيها جمع أبناء المسيحيين تحسبا لاختيار الأنسب للخدمة العسكرية. بعد الانتساب للجيش يقوم الجندي بتدوين اسمه في دفاتر الديوان العسكرية ويمكنه بعد ذلك التدرج في الرتب العسكرية التالية تصاعديا:³

- الرتبة الأولى: اليولداش Yoldach
- الرتبة الثانية: بيرقدار
- الرتبة الثالثة: كاهية
- الرتبة الرابعة: آغا الصنحق
- الرتبة الخامسة: شاوش بالبلدان، شاوش الأغا، شاوش بالديوان، باش شاوش.
- الرتبة السادسة: باشا أودلار (مستشار الديوان)
- الرتبة السابعة: صولاق (حارس في خدمة الباشا)
- الرتبة الثامنة: بلوكباشي
- الرتبة التاسعة: آغا في مدن البلاد
- الرتبة العاشرة: آغا العسة في القصر
- الرتبة الحادية عشر: آغا في الديوان⁴

بعد مسيرة هذه الرتب الاحدى عشر يُحال الى التقاعد برتبة معزول آغا. وأول من نصب آغا بتونس هو سنان باشا قبل مغادرته تونس فقد ترك على راس الحامية آغا.

¹ فرمان: كلمة فارسية تعني عهد السلطان للولاية ويتضمن فرمان عادة أوامر وتوجيهات. ينظر: حمدان بن عثمان خوجة،

المرآة، تع: تق: تع: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م. ص83.

² يُقصد بها عملية جمع الصبية المسيحيين وتربيتهم تربية عسكرية إسلامية بعيدا عن أهاليهم مما يجعلهم عند الالتحاق بالعمل العسكري لا يعرفون أبا لهم غير السلطان ولا حرفة غير الجهاد في سبيل الله كان تتم كل خمس سنوات ثم تقلصت الى ثلاث سنوات ويتم جمعهم من مناطق أوروبا الشرقية ومقدونيا واليونان وألبانيا وصربيا. ينظر: محمد فريد بك، تاريخ الدولة العلية العثمانية، تح: محمد إحسان حقي، ط1، دار النفائس، لبنان، 1981م. ص123.

³ توفيق البشروش، المرجع السابق، 50-51.

⁴ دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص157-158.

الفصل الثاني:

أنواع القبائل والطوائف بالإيالة التونسية

الفصل الثاني: أنواع القبائل والطوائف بالإيالة التونسية

أولاً: قبائل الرعية

1- الخضوع والانقياد للسلطة.

تخضع قبائل الرعية للديوان الذي يُكلف قبائل المخزن بمراقبتها وضبطها نظراً لنطاقها الجغرافي الذي تقع فيها، فهي تنتشر في القرى والمداشر وداخل البلاد وتخضع لنظام المحلة¹،² وينتمي أغلب أهل الرعية للقبائل المنتشرة داخل البلاد التي تتشكل من أسر الخماسين والبحارين والرعاة، والفلاحين المستخدمين من طرف ملاك الأحواش والمزارعين أو العاملين في أراضي الجماعة أو في ملكيات الباي كعمال دائمين أو مؤقتين، ويخضع أهل الرعية لأوامر موظفي الباي وأعوانه من أهل المخزن.

لقد كانت معظم الأراضي الفلاحية الخصبية في يد قبائل المخزن، والقبائل المتعاونة وبعض الأسر القوية، أما نصيب قبائل الرعية فقد كان ضئيلاً جداً، بل هناك من لا يملك شبرا واحداً، وبالتالي كانت محرومة من هذه الأراضي لذا كان لابد لها من الخضوع إلى قبائل المخزن من أجل الاستفادة بقطعة أرض مقابل تقديم خدمات للديوان.³

إن السلطة المركزية في تونس تفقد نجاعتها كلما ابتعدت عن الحاضرة السياسية خاصة وأن التضاريس الطبيعية تعيق أحيانا مسار تنفيذ المحلة. كما أن بعض المجموعات ساعدها موقعها في المرتفعات على الحفاظ على شيء من الاستقلالية كجبل وسلات الذي عرف بعض التمردات والثورات فقد ألقت القبائل جغرافية هذا المكان. إضافة إلى ذهنية المجتمع القبلي الراض للسلط المطلق، كما عرفت فترة حكم حسين بن علي تنسيقاً مع باي قسنطينة لإخضاع القبائل الحدودية وخاصة الحنانشة.⁴

¹ المحلة "العسكر المتحرك": فرقة عسكرية متنقلة مكلفة بجمع الضرائب وفرض الطاعة في دواخل الإيالة، وهذه المحلة أصيلة في تونس حيث ظهرت منذ العهد الحفصي (1228-1574م). ينظر: روبر مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1993م. ص533. ص627.

² ناصر الدين سعيدوني، تاريخ الجزائر العثماني

³ رزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005، ص179.

وكانت المحلة تستخلص الضرائب من القبائل كالأعشار في الحبوب والزيتون والنخيل...، كما كانت هناك ضرائب أخرى تخص الأشخاص والمجموعات أكثريتها تقدم نقداً، ومن أشهر تلك الضرائب الخطايا والدوايا.

يُعتبر التسلط الضريبي الذي فرضته الدولة على قبائل الرعية أحد أهم العوامل التي وقفت في وجه تطور المجتمع الريفي ومنعت من تراكم فوائض الإنتاج و بروز فئات داخلية قادرة على الاستثمار. وبالعكس من ذلك ساهم هذا النظام الجبائي في تدعيم فئات مخزنية مرتبطة بالدولة خاصة القيادة وكبار الأعيان.¹

وشيثاً فشيئاً أصبح الارتقاء الى صف القبيلة المخزنية منذ العهد الحسيني من الطموحات التي سعت بعض القبائل الى تحقيقها لما توفره هذه المرتبة من امتيازات لا سيما التخفيض من العبء الجبائي، بالإضافة الى ما يتحصل عليه رؤساء القبائل من هدايا وهبات من السلطة.² وخلال القرن 18م التحقت بخدمة المخزن العديد من القبائل مثل الهمامة وأولاد سعيد وجلاص والمثاليث والسواسي وورغمة.³

2- أهم القبائل الرعوية الكبرى

أ) قبيلة أولاد سعيد: من أشد القبائل في الدفاع عن مصالحها، أخضعتها السلطة في عهد المراديين، وأصبحت في عهد الدولة الحسينية قبيلة مخزنية تُقدّم لها العون العسكري، وقد أقطعها حمودة باشا الحسيني هنشير النفیضة ثم انتزعت منها بعد حملة أحمد باي 1841م.⁴

ب) قبيلة الفراشيش: تعتبر أحد أكبر القبائل في منطقة السباسب العليا، قُدّر عددها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ما بين 40000 و 45000 ألف نسمة، وتتفرع الى من ثلاثة

¹ دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص 208.

² لطفي بوعلي، التحديث العسكري قراءة ميكرو- تاريخية في التجربة التونسية (1830-1881م)، ط 1، منشورات سوتيميديا، تونس، مارس 2019م. ص 60.

³ التايب المنصف، المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني، روافد، ع 4، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، ص 30.

⁴ عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص 37.

عروش: أولاد وزاز وأولاد علي وأولاد ناجي، يمتد مجالها الجغرافي من جبال الصري شمالاً إلى جبل السلوم جنوباً.¹

ج) الهمامة: استقرت قبيلة الهمامة في قفصة إبان الدخول العثماني لتونس وينتسبون إلى جدهم المؤسس همام والد ربيعة، اشتهروا بالفروسية والصلابة فقد كانوا يمتنون أبناءهم على ركوب الخيل والقتال واعتمد البايات عليهم وضموهم للقبائل المخزنية.²

د) قبيلة جلاص: قبيلة رعوية تتمركز حول مدينة القيروان، وتتفرع إلى ثلاث مجموعات أساسية: سنداسن وأولاد يدير وأولاد خليفة، وانضمت إليها مجموعات أخرى خلال القرن الثامن عشر، مثل الكعوب والكوازينك...، وحسب تقديرات جان غانياج فقد وصل تعداد القبيلة عام 1860م إلى 60000 نسمة.³

هـ) ورغة: يُعتقد أن أصلهم بربري من قبائل هواراة وقد يكونوا أوائلهم أبعادوا منذ القرن الحادي عشر من طرف قبائل الطرود من المجال الترابي الذي كان لهم قرب الفايز بطرابلس فارتحلوا رفقة عروش بربرية أخرى من اتجاه الشمال واستقروا بالمرتفعات المطلعة على وادي مولاقي وبحثا عن الحماية دخل عرش ورغة مبكراً في دائرة عروش الموالية للدولة الحفصية ثم البايات الحسينيين وكان فرسان هذا العرش ضمن القوات المخزنية.⁴

د) قبيلة أولاد ماجر: أصلهم حسب ابن خلدون يعود إلى زواغة المتشكلة من ثلاث بطون دمر بن زواغ وبنو أطيل بن زحيك بن زواغ وبنو ماجر بن تيغون.⁵ ولقبيلة ماجر ثلاث عروش أولاد

¹ الأزهرى الماجر، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2007م. ص54.

² محمد علي الحبّاشي، عروش تونس، ط1، منشورات ستوميديا، تونس، 2016م. ص23.

³ Ganiang jean, la population de tunis, essai d'évaluation d'après les registres fiscaux, in etudes maghrébines, effirts à charles andré julien, p165,198.

⁴ محمد علي الحبّاشي، المرجع السابق، ص16.

⁵ عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ط1، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م. ص170.

مهني وعرش الفواد وعرش شقمطة. والقبيلة عبارة عن مزيج بين العرب والبربر والبيزنطيين.¹ وموطنهم يمتد من حاجب العيون الى وادي الفكّة.²

(و) دريد: ينتشر أهل قبيلة دريد بين بونة وقسنطينة والطارف تولت رئاسة بنو هلال عند دخولهم إفريقيا ولعبوا دورا واضحا في استقرار القبائل العربية بإفريقية وبتوطنهم: أولاد سرور وأولاد عطية وأولاد عبد الله.³ تحولت وأصبحت من أشهر القبائل المخزنية التي استعان بها الحسينيون. فهي نموذج للقبائل المخزنية غير المستقرة فتحالفها مع الحسينيون أفرزته الضرورة.

(ي) الحنانشة: يعود نسبها الى بعربار بن حناش وهي عبارة عن مجموعات مندجّة وهم الشاوية وهوارة وعرب بني هلال وبني سليم.⁴ ويمتد مجالها الجغرافي من الشمال الغربي لتونس الى قسنطينة وجبال الأوراس أي أنّها قبيلة حدودية، وتصنّفها الدراسات ضمن المجموعات المستقلة باعتبار الموقع الجغرافي الحدودي حيث يصعب على الدولة فرض هيبتها وبسط سلطتها عليها إلا نادرا.⁵ ويتميزون بالتسلط أحيانا على بعض القبائل (خمير وشارن وورغة وأولاد بوغنيم والفراشيش).⁶

- تعقيب: تميزت هذه القبائل بطابعها الرعوي وستنضم بعضها لاحقا للقبائل المخزنية وتعلن ولاءها للباي خاصة في عهد الأسرة المرادية ومن أهم هذه القبائل نذكر: دريد وجلاص والهمامة. ومنها من أخضعت بالقوة كأولاد سعيد وورغة.

3- التوزيع الجغرافي لقبائل الرعية

ويمكن أن نقسم القبائل حسب النطاق الجغرافي الى ما يلي:

(أ) جبلية الشمال الغربي: بجاوة وهديل وعمدون ومقعد ونفزة ووشنتاة والشيخية وتمتاز المناطق التي تقطن بها هذه المجموعات الجبلية بخصوبتها وتتعاطى أنشطة فلاحية متنوعة لا سيما تربية

¹ الأزهرى الماجري، المرجع السابق، ص55.

² إدريس رايسي، القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة (1830-1881م) ط1، دار المتوسطة للنشر، تونس، 2016م. ص21-22.

³ مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م. ص208.

⁴ عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص182.

⁵ محمد علي الحناشي، المرجع السابق، ص18.

⁶ Feraud, les hrare seigneurs des hanancha, dans revue africaine, N104. 1875.

الماشية وزراعة الحبوب وقد ساعدها قربها من الساحل الشمالي على النشاط التجاري مع المراكز الأجنبية مثل المحطة التجارية بميناء طبرقة حيث صيد المرجان. وقد استطاعت هذه المجموعات القبلية الجبلية من ترويح فائض إنتاجها من حبوب وجلود وشمع لدى هذه المراكز.

ب) المجموعات القبلية بوسط البلاد: عبارة عن مجموعات شبه مستقرة تقوم بالترحال النسبي والرعي النشاط الاقتصادي الأكثر تكيفا مع الظروف البيئية، والترحال ليس بهدف الرعي فقط، بل للمتاجرة بين الجهات. أما لتعداد القبائل ففي منتصف القرن التاسع عشر كانت تعد قبيلة جلاص حوالي 60000 نسمة والفراشيش حوالي 47000 نسمة وماجر حوالي 40000 نسمة، وتشكّل كل قبيلة من هذه القبائل الكبرى مجالا حيويا خاص بها وبهذا تُوضح هذه الاحصائيات أن البنية القبلية في الوسط هي الأكثر متانة والأقل تتفككا عكس الجهات الأخرى.¹

ج) جنوب البلاد: القبائل التي تقطن جبال مطماطة وجنوبها من بينها غمراسن وسني والدويرات وودان وبني بركة وبليدة وسدره وتزغدانة وقلعة وتشوت وقطوفة وبني يخزر وتضمهم كتلة قبلية تدعى ورغمة.²

¹ عبد الحميد هنية، المرجع السابق، ص36.

² عبد الحميد هنية، نفسه، ص34.

ثانيا: القبائل المخزنية

1- مفهوم قبائل المخزن

لغة: من فعل خزن، يخزنه خزنا أي أحزنه وجعله في خزانة، واختزنه لنفسه، والخزانة اسم الموضع الذي يخزن فيه الشيء، وهو قوله تعالى: {وإن من شيء إلا عندنا خزائنه وما ننزله إلا بقدر معلوم} الحجر (الآية 21)¹، والخزانة عمل المخازن والمخزن بفتح الزاي، ما يخزن فيه الشيء، والخزانة واحدة الخزائن، وخزن المال إذ غيبه، وخزانة الإنسان قلبه، واختزنت السر أي كتمته، ونقول إختزنت الطريق أي اختصرته، وأخذ مخازن الطريق ومحاضرها أي أخذ أقربها.²

إصطلاحا: هناك العديد من التعاريف والتسميات لقبائل المخزن منها:

أ) قبائل المخزن هم جماعة العبيد الموالية لأهل البلاد، يرسلهم الأمير إلى مناطق مختلفة مقابل تقديم لهم السكن والملبس وأراضي يحرثونها، إضافة إلى الخيول والسلاح مع إعفائهم من اللوازم والمطالب المخزنية.³

ب) المخزن هم رجال الإدارة والحكم من عسكريين وموظفين مدنيين وأصحاب الامتيازات وكبار الملاكين، باختصار إن أهل المخزن هم الذين تشكل منهم الطبقة الحاكمة التي تشتغل وتعيش على حساب الآخرين وتتكون منهم الرعية.⁴

ج) وهم الذين تجهزهم الدولة بالسلاح والمركوب والذين يمتازون بإخفاء أراضيهم من الضرائب.⁵

¹ القرآن الكريم، سورة الحجر، الآية 21.

² ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم الشيخ عبد الله العلابي، مجلد2، ج2، دار لسان العرب، دار الخيل، بيروت، دس، ص828.

³ محمد الشريف الزهار، مذكرات، المصدر السابق ص48.

⁴ مبارك محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، مرجع سابق ص292.

⁵ مبارك محمد الميللي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج3، المرجع السابق ص293.

د) أنها مجموعات سكانية ذات صبغة فلاحية وعسكرية وإدارية وهي ذات أصول مختلفة خلاف القبائل الأخرى ذات النسب الواحد.¹

ه) ومن التسميات الأخرى لفرسان قبائل المخزن المخازنية والزمول (زمالة) والدواير (دائرة).

رغم تعدد التعاريف لهذه القبائل واختلاف المؤرخين في تحديد مفهومها إلا أنهم يصبون في قالب واحد أن القبائل المخزنية هي الجماعات المحلية الموالية والمتعاونة مع السلطة العثمانية.

وقد ساعدت السياسة التي اتبعتها العثمانيون في تونس على تفكيك القوة القبلية وتصدع الدواخل حيث أصبحت بعض القبائل تقوم بدور هام في إخضاع القبائل المتمردة وحماية المجال الترابي في المناطق التخومية والظرية. وفي مقابل استراتيجية الإستخزان التي مارستها السلطة تشكلت مواقف القبيلة واتخذت لها مواقع مختلفة في علاقتها مع الدولة، ولذلك نُمز بين ثلاث مجموعات:

- المجموعات المتحالفة مع السلطة من أجل مصالحها مقابل الحصول على عدة امتيازات.
- المجموعات المستقرة والمسالمة والدافعة للضرائب بشكل منتظم، وتشمل القبائل الخاضعة التي كانت مجبرة على دفع آداءات وضرائب المخزن أهمها: الضيافة والعادة والمعونة.
- مجموعات التخوم وهي المجموعات الممانعة التي ترفض دفع الضرائب وتقود حركة عصيان عنيفة ضد السلطة.

2- أهم القبائل المخزنية

تميزت كل مراحل تاريخ الإيالة بتواجد قبائل المخزن، فقد ظهرت هذه القبائل في الفترة التي تلت سقوط دولة الموحدين في بلاد المغرب وحافظ العثمانيون على وجودها للاستفادة من خدماتها وقاموا بمنحها صلاحيات واسعة، حيث استعملتها السلطة في كثير من أزماتها مستغلة روح الاستقلال والحرية التي يتمتع بها سكان البلاد خلال تاريخهم الطويل، واستغلّتهم أيضا في الدفاع عن أراضيهم ضد التحرشات الأجنبية لبلادهم، وتشكل قبائل المخزن أساسا من مجموعة من الفرسان الذين يعرفون بالمزارقية في تونس، إضافة للمزارقية تشكلت قبائل المخزن أيضا من الحوالب

¹ أمحمد عميراي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، دط، دار البعث، قسنطينة، 2002م، ص36.

والصبايحية وجميع هذه الفرق من الخيالة الذين يتم انتدابهم من كل القبائل التونسية، ويخضعون قبل انتدابهم الى اختبار لإثبات مدى كفاءتهم يشرف عليه الباي بنفسه، ويشاركون باستمرار في المحلات الفصلية مقابل امتيازات مختلفة واعفاءات ضريبية. وقد كان للمراديين دور كبير في إحياء هذه الفرقة العسكرية، كما استفاد منها الحسينيون من بعدهم لأن هذه القبائل كانت أكثر اتصالا بالمجتمعات القبلية ولهم القدرة في التعامل معها.

ومن أهم القبائل المخزنية نذكر:

- **دريد:** من أشهر وأقوى القبائل المخزنية، وقعت مخزنتها في عهد حمودة باشا المرادي، وهي تنتجع بين سباسب القيروان ومجردة الوسطى، وكان مزارقية دريد يشاركون في محلي الصيف والشتاء، في بوسديرة خاصة (من منطقة باجة) بالنسبة لمحلة الصيف، وفي منطقة القيروان وفي بلاد الجريد بالنسبة لمحلة الشتاء. كانوا يعدون حوالي 600 فارس في بلاد الجريد و1500 في المجموع. وكان هؤلاء الفرسان يبقون في خدمة المخزن وعلى ذمة الجيش وتحديد المحلة حوالي 5 و6 أشهر من كل عام.
- **أولاد سعيد:** الذين تحولوا عمليا وبصفة منتظمة إلى قبيلة مخزنية منذ 1712م، وقد كانوا يوفرون شهريا للمخزن حوالي 470 فارسا.
- **الهمامة:** قبيلة مخزنية منذ أواخر القرن السابع عشر، وبصفة أكثر وضوحا منذ 1705، وقد كانوا يوفرون حوالي 600 فارسا.
- **جلاص:** قبيلة مخزنية منذ سبعينات القرن السابع عشر، وبصفة أكثر وضوحا منذ ثلاثينات القرن الثامن عشر، وتحديدًا منذ هروب علي باشا من مدينة تونس سنة 1728م لإعلان ثورته على عمه حسين بن علي. وفعلا فقد انتسب هؤلاء الى حسين بن علي وتعهّدوا بالدفاع عن دولته، لضمان ولاء المزارقية من ناحية وتطوير نجاعتهم القتالية، عين حسين بن علي على رأسهم قادة عسكريين.¹

أما الفرق والتدعيمات العسكرية نذكر:

¹ حاتم ضاوي، مقال على الفايبيوك

- **الصبايحية:** فيلق من الفرسان تأسس مطلع القرن 17م ويعود أصل الكلمة الى اللغة التركية وتعني فرقة فرسان وتم اقتباس تشكيلتها وتنظيمها العسكري في تونس من الجيش العثماني ويتكون من أفراد من قبيلة الزواوة والأهالي التونسيين وكان عددهم يناهز 60 فارس يرأسهم آغا خاص بهم واستمر وجود هذا الفيلق في خدمة السلطة القائمة الى القرن 19م عند تشكيل جيش نظامي في تونس، حيث بلغ عددهم خلال القرن 18م في عموم السلطنة 40 ألف صبايحي موزعين على الولايات العثمانية ومنها تونس.¹

تعود أصول هؤلاء الجند إلى السكان المحليين من أبناء القرى والقبائل، وتألفت كل مجموعة من 500 فارس، ثم تمت إضافة فرقة أخرى من الصبايحية والأتراك وأصبح عددهم 5 فرق، هذه الفرقة كان لها ديوان خاص بها نظرا لمكانتها إلى أن قام احمد باي بحله سنة 1839م، وقد ارتقى بعض قادة صبايحية الأتراك في المراتب إلى أن وصل إلى رتبة باي، مثل حسين بن علي تركي مؤسس الأسرة الحسينية التي حكمت تونس أزيد من 250 سنة.²

- **الزمالة:** كانت هذه القوة العسكرية تتألف من رجال القبائل التونسية، قام بتأسيسها الداي أحمد خوجة (1637-1647م) والهدف من ذلك ردع القبائل المتمردة عن سلطة الدايات وكبح جماحهم، حيث اعتادوا التمرد مرارا وتكرارا على السلطة القائمة.³

وقام محمد باي المرادي في عهده (1688-1695م) بفرض سلطته على الأعراب ومن بينهم قبيلة دريد التي ضم العديد من أبناء هذه القبيلة الى صفوف جيشه، وبعد نجاح العملية اضطر الى تعميمها على القبائل الأخرى التي كانت في حالة تمرد وعصيان. يقول ابن أبي دينار <<وأضاف دريد الى رعيته، وأحسن للمُحسن منهم وألزم الجاني بخطيئته، وركب منهم عدة من الفرسان وجعلهم من جُملة رجاله. ولما عزم على ممارسة قبائل العرب شرع في تَزْمِيل فرسانهم، فجمع منهم عددا وجعل كل زمالة في فُجٍّ من فُجوج أوطانهم. ولكلّ زمالة رئيس من رجاله... كلّهم معدودون من فرسان العرب>>.⁴

¹ محمد العايبي، تطور الجيش التونسي خلال الحكم العثماني وتأثيره على الوضع العام للإيالة، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه، تاريخ بلاد المغرب الحديث، جامعة الشهيد حمه لخضر، الوادي، الجزائر، 2021-2022م. ص89.

² محمد العايبي، نفسه، ص90.

³ ألفونسو روسو، المرجع السابق، ص121.

⁴ ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص222.

- الحوانب: تأسست هذه الفرقة العسكرية على يد الداوي محمد طباقي (1677-1682م) سنة 1677م حيث اختار 400 عسكري وقائد الفرقة يسمى باش حامية. ووضعهم في القصبة ليتولوا الحراسة. في القرن 18م ظهرت فرقتان هما مجموعة حوانب عرب ومجموعة حوانب ترك الوجق الأول يتكون من الأتراك يضم 200 حامية، الوجق الثاني من العرب يضم 400 حامية ويترأس كل تشكيلة باش حانبة. وتضطلع هذه الفرق بحراسة البايات والأمراء حيث تجدهم موزعين على قصورهم.

- المزارقية: تعتبر من الفرق العسكرية غير قارة المكونة من عناصر محلية التي أحيها المراديون وورثوها عن العهد الحفصي واستمر الحسينيون في الاستعانة بهم، فهي تساند مجهود القوات المركزية في فرض سلطة الدولة بأقل التكاليف، وتشكّل فرقة المزارقية من فرسان القبائل المخزنية منظمين على شكل دواوين وكل ديوان له قائد خاص وهو المشرف والمسؤول عن مجموعته مرتبه ككاهية الصبايحية ويُعتبر وسيطا بين الباي وبقية أفراد القبيلة.

وفيما يلي جدول لأهم الدواوين التي شكّلتها القبائل:¹

اسم الديوان	عدد الفرسان	التاريخ
الفرانشيش	250 مزارقي	القرن 18م
ماجر باعتبار فروعها الثلاث	750 مزارقي	القرن 18م
الهمامة والمثاليت	200 مزارقي	1740-1741م
أولاد عيار وورتان وأولاد سعيد	300 مزارقي	(1747-1750م)

ويتراوح عدد المزارقية عموما في الأوقات العادية بين 3000 و4000 فارس وهو ما كان في عهد حسين بن علي (1735-1705م)

3- أسباب الاعتماد على القوات غير نظامية

ضالة العنصر التركي دفع الحكام الى الاستنجاد بهذه الشريحة لتكون دعما في الحروب والثورات الداخلية، وقوة حليفة بعد أن عجزوا في تجنيد أكثر من 1200 رجل من أتراك وكراغلة

¹ سلوى هويدي، المرجع السابق، ص131.

في أوقات الحرب، بعد أن وصل عدد المخازنية الى 30000 في حين لم تكن قوة الجيش الإنكشاري تتعدى 4000 أواخر وجوده بالعهد العثماني.¹

حاجة الإدارة العثمانية لتدعيم قراراتها بتوسيع نفوذها في الأرياف والأوطان لفرض الأمن الاجتماعي والاقتصادي بترسيخ التواصل مع شيوخ القبائل المخزنية، بالإضافة إلى إرساء المشاركة الفعلية في تمويل الجند الإنكشاري بجند غير نظامي من الفرسان.²

وقد ذكر الباجي المسعودي أن عدد الإنكشارية كان قليلا: (لما فتح الوزير سنان باشا الحضرة وقطع دابر الكافرين وعزم على العود للقسطنطينية رتب أربعة آلاف وقيل ثلاثة من عسكر الترك لحراسة البلاد وتأمينها وجعل لكل مائة منهم أميراً يسمى الداى).³

الدعم البشري والمادي الذي تقدمه هذه القبائل حيث كانت الكثافة السكانية لقبائل المخزن أكثر تعدادا من الطوائف العثمانية والكرغلية والدخيلة في البلاد.⁴

ثالثا: طائفة الزواوة

1- التسمية

كلمة زواوة من كلمة آقاوا وجمعها آقاواون وهي دليل على مجموعة من القبائل والعروش التي كانت تسكن أعالي جبال جرجرة (آث عيسى. آث صدقة. آث بطون. آث يثارن. آث منقلات. آث يسورغ).⁵

2- أصل طائفة الزواوة

ويرى أبو يعلى الزواوي أن أصل موقعها من طرابلس الغرب شمالا، الى المغرب الأقصى جنوبا ومنهم الشاوية وقبائل الحضرة، وقد وصفها بقوله: (محامد زواوة جمعهم أشنات محاسن العرب

¹ أحمدية عميراي، المرجع السابق ص37.

² حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 الى 1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007م. ص61.

³ الباجي المسعودي، المرجع السابق، ص209.

⁴ حسان كشرود، المرجع السابق، ص61.

⁵ محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، 1749-1949م، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، جامعة الجزائر 2، 2011م. ص21.

والبربر، فتجدهم عربا في الشجاعة والكرم وشدة في الأنفة والغيرة، واباية الضيم وحماية الجار والمحافظة على الأعراض والتزوع الى الحرية).¹

ويذكر ابن خلدون في مقدمته أن قبائل الزواوة كانت تعيش في تجمعات سكنية قريبة من بعضها البعض، وذلك لضرورة تأمين العيش وحماية الذات، في ظل غياب سلطة مركزية، الأمر الذي يدفعهم الى السكن في أماكن محصنة للدفاع والحماية وإرهاب العدو.²

3- طائفة الزواوة في تونس

اشتهر عسكر زواوة بالشدة وقلة المرونة وعدم الطاعة المطلقة للأوامر خاصة منذ أن بدأ أحمد باي في تكوين الجيش النظامي فقد شعروا بفقدان أهميتهم في البلاد فقاموا بنوع من التمرد، فأبعدهم أحمد باي عن الحراسة لسوء أدبهم حتى أن البعض منهم عاد الى الجزائر.³

وتعتبر المكانة الجغرافية من الأسباب الرئيسية التي ساهمت في هجرة الكثير من الجزائريين نحو تونس، فتونس كما هو معلوم تقع في شرق الجزائر وتتشترك معها في حدود جغرافية قاربت 1300 كلم كما أن انفتاح المنطقة الحدودية وانبساطها نسبيا زاد في سهولة الاتصال، ذلك أن المنطقة الشرقية للأطلس التلي هي أقل ارتفاعا من جزئه الغربي حيث يصل أقصى الارتفاع شرقا 1500 متر تقريبا (وهو جبل الشعابي بتونس) بينما يرى الارتفاع يزيد عن 4500 متر تقريبا في المنطقة الغربية (جبل طوبقال بالمغرب) ويبدو من هذا المنطق الطبيعي الجغرافي مدى سهولة اتصال الجزائريين بالمناطق الشرقية أكثر من المناطق الغربية.

ويذكر نارسييس فوكون أن الداوي حسين استأجر الكثير منهم عام 1681م

<< Les zouaoua sont presque tous originaires de la grande tribu ou plutôt de la confédération de tribus kabyles qui habitent les gorges plus reculées du djurdjura (Algérie), race d'hommes fiers, intrépides, laborieux qui contribuèrent en grande partie à la formation de la milice créée en 1831 et à laquelle, par suite, ils donnèrent leur nom. Zouave est une corruption de zouaoua.

¹ أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، مر: تع: سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م. ص101.

² ابن خلدون، المصدر السابق، ص102.

³ ابن أبي الضياف، المصدر السابق ج4، 142-143.

Leur soumission aux turcs ne fut jamais que nominal ; mais ils louaient leurs services militaires aux deys. En 1681, baba hassan emmena plusieurs milliers de ces mercenaires en Tunisie, et l'expédition terminée un assez grand nombre se fixèrent à tunis. Ceux-ci attirèrent auprès d'eux bon nombre de leurs frères et amis qui firent souche à leur Tour : telle est l'origine des zouaoua en tunis.>>.¹

ومع مرور الأيام تزايد عدد الوافدين من الزواوة الى تونس، خاصة بعد احتلال الجزائر. ويبدو أن قدومهم الى تونس لم ينقطع فاستمر حتى حكم الصادق باي، إذ تشير رسالة من طرف وزير البحر الى الوزير الأكبر سنة 1282هـ | 1865م أن مركبا بحريا إيطاليا قدم من الجزائر يوجد على متنه 170 مسلم من الزواوة، قادمين لأجل العمل في تونس.

لذلك فإن عددهم كان دوما في ازدياد، حتى أصبح عدد الجنود منهم سنة 1297هـ | 1879م حوالي 10939 نسمة بين عسكر وضباط وشيوخ منتشرين في كامل البلاد التونسية، بينما كان عددهم سنة 1282هـ | 1869م 8816 بين جنود وضباط.²

وامتنع عسكر زواوة عندما كانوا في محلة الساحل مع أحمد زروق من أخذ رواتبهم، بحجة أن الباي وعددهم عندما استنفرهم للمحلة بمرتب مثل مرتب الحنفية ووعد كبراءهم كذلك بمساواتهم مع كبراء العساكر، حتى أنهم رفضوا تدخل أحد رجالهم الكبار الذي قال لهم هذا ما تواعدنا اليه لكنهم أخيرا.... اشتكى رستم الذي ولي عليهم من سوء تصرفهم أثناء المحلة سنة 1281هـ 1864م وذلك بالاعتداء على الناس وكثرة الهروب من العمل فيقول أنه لا تنفع معهم المحاولات ولا حتى السجن أو العصا. واشتكى منهم سليم في محلته سنة 1282هـ 1866م للوزير الأكبر بأنه لقي منهم أتعابا كثيرة فهم يتهبون أرزاق الناس وكل الطرق المستعملة معهم كانت دون جدوى ولم يترددوا عند دخول فرنسا لتونس أن يرفضوا طلب أمير المحلة بتسليم

¹ Narcisse Faucon, La Tunisie avant et depuis l'occupation française: histoire et colonisation. Géographie, histoire, ... ; lettre-pref. De M. Jules Ferry Date de l'édition originale, Tunisie, 1893. P354-355

² الشيباني بنبلغيث، تق: عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1882-1859م)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، 1995م. ص142.

مدافعهم الى محله وقالوا لا يقع ذلك لو نموت عن آخرنا ويُعلّق أمير المحلة على ذلك بأن أحوالهم
في حقوقهم.¹

¹ نفسه، ص143.

الفصل الثالث:

التنظيم العسكري للقوات غير نظامية

الفصل الثالث: التنظيم العسكري للقوات غير نظامية

يعتبر الجيش غير النظامي عنصر آخر من تشكيلات الجيش التونسي، فأفراده يعيشون وسط الناس في المدن والقرى ويقومون بأعمالهم حسب ما يُساعد الباي، ويشاركون في المحلات السنوية الاستثنائية. وبعض من أبناء أفراد هذا الجيش غير النظامي، يُجنّدون وراثياً عند بلوغ السن السابعة عشر، ولا يدخلون نظام القرعة مثل غيرهم من سكان المدن والقرى ذوي الأصل التونسي، وتشمل عناصر هذا الجيش غير النظامي ما يلي: عسكر الزواوة وأوجاق المخازنية. ويختلف عن الوحدات العسكرية النظامية الإنكشارية المنظمة والمسيرة من طرف الديوان، والتي تُقيم في الثكنات بشكل دائم.

أولاً: مهامهم

1- مهام الصبايحية

أ- مساندة الجيش

كانت فرقتا الصبايحية الأتراك والصبايحية العرب تشتركان في خوض المعارك وإخماد الثورات، جاء في الكتاب الباشي مشاركتها في وأد ثورة الجمال سنة 1759م كما يلي:
... فأمر بانتقاء مائتي رجل من العسكر واركبهم الإبل وبعث معهم حسين التتمام آغا الصبايحية الترك في خيله، وطائفة كبيرة من صبايحية العرب وأمر الحاج علي على جميعهم...

ب- استخلاص الضرائب

كان فرسان الصبايحية يقومون إضافة إلى مهامهم الحربية بمساعدة القيادة في فرض الأمن واستخلاص الضرائب، حيث يذكر المؤرخ جيان لويس لانسان كيفية الاستخلاص بقوله: (... في بعض الأحيان يمنح الأهالي يومين أو ثلاثة أيام فقط من أجل الدفع، بعد انقضائها يشرع القايد في قمع أولئك الذين لم ينصاعوا للأمر حيث يرسل أحد الصبايحية الذي يستقر في منزل الجانح، ويتوجب عليه إطعام الصبايحي وحصانه، حتى يتم دفع المجبى بالكامل، إضافة إلى دفع 15 بياستر¹ هي التكاليف الناجمة عن إرسال الصبايحي إليه)

¹ البياستر piastre تدل اسم العملة عن أصلها الأجنبي، وهو الريال أو القرش من الوحدة النقدية الأساسية منذ عام 1630م، كما أن كلمة الريال مشتق من اللغة الإسبانية، ويُعادل البياستر 60 سنتيما فرنسيا عند بداية فرض الحماية على الفرنسية على تونس. ينظر: حفيظة بوتوقوماس، النشاط التجاري

— قام حمودة باشا المرادي بإرسال ثلاث مجموعات منهم إلى كل من تونس وباجة والكاف ثم أرسل لاحقا مجموعة أخرى إلى القيروان، وأضاف لهم مجموعات من الفرسان من أبناء القبائل الجبلية لتوسيع مجال سلطة الباي وتأمين الطرق وفرض الاستقرار.¹

— قامت هذه الفرقة أيضا بدور الشرطة في الساحات العامة في المدن التي تم إرسالهم إليها.²

2- مهام عسكر الزواوة

ينقسم عسكر زواوة الى قسمين:

أ_القسم الأول

التحق بالحراسة وسكن الثكنات والقشل³ والأبراج دورهم كدور الإنكشارية يتمتعون بالأجرة والمؤونة والإعفاء من ضريبة المجرى.

ومع تزايد عدد عسكر زواوة تم بناء ثكنات إضافية لهم ويوضح هذا الجدول تطور القشل بين عامي (1283هـ | 1866م) (1286هـ | 1869م).

عدد الزواوة	القشل (1286هـ 1869م)	عدد الزواوة	القشل (1283هـ 1866م)
52	الحدادين	32	الحدادين
68	باب سوقة	28	المشقة
75	السبخة	29	السبخة
39	أولاد عروش	11	أولاد بلاد
234	المجموع	100	المجموع

للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1117-1246هـ | 1705-1830م، مجلة معارف، مج10،

العدد18، جامعة البويرة، الجزائر، 2018م. ص84. ينظر أيضا:

Paul sebag, les monnaies tunisiennes au XVIIe siècle, revue du monde musulman et de la méditerranée, N 55-56, l'université de provence, marseille, France, 1990, p259.

¹ محمد العايبي، المرجع السابق، ص90-91.

² نفسه، ص92.

³ القشل: لقب يطلق على الثكنات التي كانت تحوي الجنود

ب_ القسم الثاني

هذا النوع معفى من كل عمل خلال أوقات السلم، يستقرّون بمنزلهم ويدفعون ضريبة قدرها 15 ريال أكثر أعمالهم تكون في الحاضرة. أمّا عند القيام بالرحلة يُستدعى من القسمين ما تحتاج اليه الدولة ويُقسّمون الى صنّاجق، كل صنّاق يضم 60 جندي يقودهم بلكباشي وكلهم تحت إمرة آغا زواوة.¹

يتمثل مهام عسكر الزواوة في فترة السلم في مصاحبة الأحمال الردعية والجبائية بالإضافة الى حراسة القلاع والحصون، حيث وقع توزيع مجموعة من النوبات على مختلف الأبراج سواء الموجودة في محيط الحاضرة أو تلك المنتشرة داخل بقية المجال المحلي. ومن أهم الأبراج المحصّنة للحاضرة نذكر برج باردو وأبراج الجبل الأخضر المتكون من البرج الكبير و برج الزواوة و برج الأندلس و برج فليفل، وتعود إعادة ترميم هذه الأبراج وتدعيمها الى إبراهيم الشريف سنة 1705م، كذلك برج منوبة ويوجد في الجهة الغربية لمدينة تونس، وكان قد أسسه علي باشا وأبراج أحمد الرايس، و برج السيدة المنوية و برج الجديد. وقد اقتبست عناصر العديد من مخططات الكثير من الأبراج من المثال العثماني والأوروبي. وتتعهد هذه الأبراج بحماية مدينة تونس العاصمة وقصر باردو. وفي إطار حرص الدولة على ردع المخالفين وإظهار قدراتها الأمنية قامت بتدعيم التحصينات بمختلف المدن خاصة الحدودية وذلك ببناء الأبراج والحصون والأسوار وتم تكليف عسكر الإنكشارية والزواوة بالعمل فيها وتسييرها.

وفيما يلي جدول لأهم الأبراج والمكلفين بالحراسة فيها وعددهم من عام 1748م الى 1759م.²

	طبرقة	قابس	الحامة	جرجيس	نفزاوة	صفاقص	جربة
بلكباشي	1	1	1	1	1	1	1
أضباشي	2	1	1	1	2	1	5
نفر زواوة	46	18	18	30	30	24	43

البيبان	سوسة	غمراسن	المنستير	سقلاب	غار الملح
---------	------	--------	----------	-------	-----------

¹ Raymond drevet, l'armée tunisienne, 1922. P14

² سلوى هويدي، المرجع السابق، ص138.

		1	1	1	1	بلكباشي
1	1	2	1	1	1	أدباشي
24	9	48	18	20	24	نفر زواوة

وبعد 10 سنوات تزايد عدد عسكر زواوة من خلال الجدول الآتي لسنة 1286هـ | 1869م.¹

المشايع	عسكر زواوة	أوضباشي	بلكباشي	الأبراج
7	31	2	2	1- باب الخضراء
	37	2	2	2- زنقة البصيلي
	36	2	2	3- درب بن عسال
	39	2	2	4- سيدي عبد السلام
	38	2	2	5- باب سعدون
	38	2	2	6- زواوة
	10	1	1	7- فليفل
	39	2	2	8- سيدي قاسم
	38	2	2	9- باب الفلة
	39	2	2	10- باب علاوة
	39	2	2	11- الجلاز
7	384	21	21	

ويلاحظ التسيير الذي يكون من بلكباشي ونائبه أضباشي المنتمين الى الانكشارية في حين الحراسة تكون لعسكر زواوة.

وقد لعبت الزواوة دورا هاما في مختلف الصراعات التي شهدتها الإيالة سواءا المحلية أو الخارجية. فخلال نزاع علي باشا مع ابنه يونس باي سنة 1752م، أزرت هذه الفرقة علي باشا، ورفض خوجة الزواوة علي التميمي تسليم أنصار يونس باي البرج الكبير.

¹ الشيباني بنبلغيث، المرجع السابق، ص141.

كما لعب عسكر الزواوة دورا هاما في الحرب التي خاضها حمودة باشا ضد علي برغل لما استولى على طرابلس 1794م. وكذلك خلال الحملة الثانية ضد الجزائر سنة 1807م، وخلال هاتين الحملتين خرجت فرقة الزواوة في طليعة الجيش. عموما نستطيع القول أن فرقة عسكر الزواوة عرفت تطورا هاما، وذلك لرغبة البايات في التخلص من خطر جند الأتراك وضغطهم، وخصوصا أن هذه التشكيلة لا تُكَلَّف ميزانية الإيالة الكثير من المال.¹

3- مهام الحوالب

وتضطلع هذه الفرق بحراسة البايات والأمراء حيث تجدهم موزعين على قصورهم. يكلف الحوالب بمهام خاصة مثل السهر على تنظيم سير المحكمة إذ يؤدون دور الوسيط بين الباي والمشتكين، فأثناء انعقاد مجالس المحكمة الشرعية بباردو، تولى الحانبة إعطاء إشارة الانطلاق والانتهاء. >> ثم ينادي رئيس الحانبة يا (سعد) وذلك علامة الإذن في دخول المتظلمين وأهل الشكايات ... فإذا لم يبقى أحد نادى رئيس الحجاب (العافية) رافعا بها صوته، وذلك علامة على انتهاء الحكم<<² كما كان الباش حانبة ينظر في بعض القضايا التي لا تستدعي تدخل الباي، ويشرف على تنفيذ الحكم فيها >>فما كان من الظلامات ظاهر الحكم متكرر الأمثال نفذه من غير استثمار³<<

كما كانت على عاتقهم بعض المسؤوليات الأمنية الأخرى كالحفاظ على أمن البلاد في المناسبات والأعياد واستخلاص الجباية من العروش ففي سنة 1162 | 1748-1749 تولى علي جفال كاهية باش حانبة عرب جمع ضرائب عرش جلاص بوعيسى.

إضافة الى الخروج بالمحلات عندما تقتضي الضرورة فأثناء حرب طرابلس 1794م خرج على رأس محلة زواوة علي اللوح باش حانبة عرب، وهي المحلة التي سبقت خروج محلة الباي، وضمن حرب الجزائر خرج أحمد بن عمار باش حانبة في مقدمة الجيش بمحلة زواوة.⁴

4- مهام المزارقية

¹ سلوى هويدي، المرجع السابق، ص23.

² ابن عبد العزيز (حمودة)، الكتاب الباشي، تح: محمد ماضور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م. ص228.

³ ابن عبد العزيز (حمودة)، نفسه، ص229.

⁴ ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج3، ص24،45.

ذكرنا سابقا في تعريف المزارقية انها فرقة أسسها المراديون مشكلة من فرسان قبائل المخزن وقد شكّلت هذه الفرقة لمساندة مجهود القوات المركزية في فرض سلطة الدولة بأقل التكاليف، إضافة الى حاجتها للتعداد البشري في الحروب الخارجية والفتن الداخلية حيث تكون في خدمة السلطة مدة 5 أو 6 أشهر في السنة مع أحقية الاستفادة من عوائد التمر والحبوب. ومن الحروب التي تم الاستعانة فيها بهم: الحروب التي حدثت ضد طرابلس عام 1794م بقيادة مصطفى خوجة، وحرب الجزائر. إضافة الى قمع التمردات والثورات نذكر منها: ثورة إسماعيل بن يونس عام 1760م. تمرد قبائل أولاد عيار وماجر في عهد علي باي (1759-1782م).¹

5- المهمة المشتركة

تشارك قبائل المخزن والقوات العسكرية غير النظامية خاصة عسكر زاووة في مهمة واحدة وهي المحلة وقد عُرفت في الجزائر وتونس بمحال الحرب وفي المغرب الأقصى باسم الحركة،² وهي عبارة عن فرقة عسكرية تفرض سلطة البلاد وتجوّب القبائل لاستخلاص الضرائب والجباية بالقوة ومثلت إحدى آليات الحكم ليس في الإيالة التونسية فحسب بل كل بلاد المغرب في ظل نظام يصعب فيه التواصل ومراقبة المجال التابع للسلطة. وتنقسم الى محلة الصيف ومحلة الشتاء ويسمى قائدها قائد المحال أو باي المحال، وتتجه محلة الصيف بعد فترة الحصاد من تونس من الحرايرية حيث تتجهز ثم تخرج صوب الشمال ومناطق الحبوب وتسلك طريق باجة وهي تمثل مركز الطريق ومنه تتصل بكل المناطق المحيطة كا أولاد بو سلام ونفزة. أما محلة الشتاء فتستغرق طريقا أطول وتدوم أكثر من شهرين لكثرة المحطات وصعوبة المجال الجغرافي ومن أهم محطات محلة الشتاء: محطة الجريد ومنطقة اقتصاد الواحات وإنتاج التمور ومحطة الساحل المنتجة للزيت وتُستنى منطقتي أولاد سعيد وجبل وسلات.³

وتقوم المحلة بجمع الضرائب الشخصية التي تُفرض على الأشخاص والضرائب المُستخلصة من القبائل وذكر هنري دونان خروج المحلة في تونس بما يلي:

¹ ابن عبد العزيز، المصدر السابق، ص70-71.

² دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص132.

³ دلندة الأرقش، المرجع السابق، ص134-135.

<<Les impôts sont prélevés sur tout le peuple. A Tunis chaque homme paie trois piastres (en viron quarante-cinq sous) par mois comme impôt personnel. En outre tous les magasins ont un droit à payer.

Les cheiks prélèvent l'impôt sur les tribus ; mais comme quelques tribus des frontières de tripoli et du grand désert refusent parfois de payer ces impositions, le bey envoie deux fois par an des camps pour les prélever, et ceux-ci contraignent bientôt les rebelles à s'acquitter de cet impôt.

C'est ordinairement le prince héréditaire qui commande l'expédition, d'où lui vient le titre de bey de camp.

Il y a deux camps dans l'année. Le premier part en janvier et revient à la fin de mars ; il rapporte des couvertures, des burnous, du beurre salé, et il ramène des chameaux chargés d'argent. Le second a lieu en automne, il dure également deux mois, et il rapporte du blé, de l'orge, des dattes, et de l'argent.>>¹

ويصف الأجواء والاحتفالات التي تعيشها المدينة حين عودة المحلة حيث يصطف الجنود مشكلين
خطين متوازيان ليمر معسكر الباي وتطلق المدفعية طلقات نارية وتكون عربة الباي بلون وردي
مطرزة بالذهب والفضة الخالصة

<<lorsque le bey de camp arrive de son voyage, le jour de son retour est signalé d'avance, et devient fête. Le souverain se transporte de la marse au bardo dans un magnifique carrosse couleur rose-tendre, doré, et sur les panneaux duquel sont peintes les armes de sa famille ; ce carrosse est traîné par neuf

Henry Dunant, notice sur la régence de Tunis, imprimerie de jules-g fick, ¹
Genève, 1858. P78

mules du plus grand prix, attelées trois par trois. Le bey régnant est escorté par les grands officiers de la cour, montés sur les plus beaux chevaux du pays. Ces superbes animaux sont caparaçonnés à la façon des chevaux des chevaliers du moyen-âge lorsqu'ils paraissent dans un grand tournoi : ils ont des housses de soie brillante aux couleurs vives et variées, qui couvrent presque entièrement la partie inférieure de leur corps ; ils ont des selles de velours bleu, violet ou grenat, brodées d'or ou d'argent fin, et dont quelques-unes coutent jusqu'à douze ou quinze mille francs. Ces nobles coursiers ont l'allure fière qui distingue le cheval arabe ; ils ont aussi ces membres déliés, souples et élégants, ces jambes fines, cette tête petite et gracieuse, ces yeux noirs, vifs et pleins d'intelligence qui sont le partage de ce bel animal si fort apprécié en orient, et que le koran appelle " le bien terrestre par excellence">>. ¹

وفيما يلي جدول لأهم الأمحال المشتركة التي خرجت من بداية القرن 18 إلى بداية القرن 19 م :

التاريخ	الظروف	أنواع المحلة ومكوناتها	المصدر
1735م	محاربة حسين بن علي لإبن أخيه علي باشا الذي عاد مدعوًا من الجزائر	_ محلة قادها حسين بن علي وابناه علي باي ومحمود باي. _ محلة كبيرة قادة محمد باي بن حسين بن علي.	ابن أبي الضياف، مج1، ج2، ص110

Narcisse Faucon, op, p78 ¹

<p>ابن أبي الضياف، مج1، ج2، ص136.</p>	<p>_ محلة قادها محمد باي بن علي باشا لكنها فشلت بسبب ضعف شخصية الباى. _ محلة جاءت لتعزيزها بقيادة يونس بن علي باشا والذي كان منشغلا بمحاربة أهل الساحل والجريد، وبوصوله انتقلت قيادة المحلّتين اليه ونجح في إخماد نار الفتنة ثم رجع الى الحاضرة.</p>	<p>ثورة أهل عمدون والجبالية الذين رفضوا دفع الجباية</p>	<p>1747م</p>
<p>ابن أبي الضياف، مج1، ج2، ص137- 136 _ ابن عبد العزیز (حمودة)، الكتاب الباشي، ج1، 1970م. ص67</p>	<p>_ محلة العسكر المعتادة خرج بها يونس باي _ محلة ثانية خرج بها سليمان باي بن علي باشا _ محلة ثالثة ضمت سائر الفرسان قادها علي باشا _ حافظ فيها علي باشا على نفس مكونات محلة الشتاء المذكورة أعلاه وحافظ على نفس القيادات العسكرية</p>	<p>محلة الشتاء العادية محلة الصيف العادية وقمع تمرد شتاتة</p>	<p>1749م 1749م</p>
<p>ابن ابي الضياف، مج2، ج3، ص37،50.</p>	<p>_ محلة لقسنطينة بقيادة سليمان كاهية اقتصر فيها على عسكر الترك والمخازنية من الحوانب والصبايحية وقبيلة</p>	<p>الحرب ضد الجزائر</p>	<p>جانفي 1807م</p>

	<p>دريد وفرسان من عروش ونيقة</p> <p>_ محلة بقيادة سليمان كاهية آغا وجق باجة</p> <p>_ محلة من فرسان الأعراض بقيادة عميلها حميدة بن عياد وكل هذه الاحمال تحت قيادة سليمان كاهية</p> <p>_ محلة زواوة بقيادة أحمد بن عمار باش حانبة</p> <p>_ محلة يوسف صاحب الطابع في 12 جوان 1807م</p> <p>_ محلة زواوة بقيادة حمودة الأصرم خووجة زواوة انطلقت في 28 جوان 1807م.</p>		<p>ماي 1807م</p> <p>جوان 1807م</p>
<p>ابن أبي الضياف، مج2، ج3، ص155.</p>	<p>_ محلة بالعسكر والمخازنية _ محلة بعسكر زواوة والكل تحت قيادة مصطفى باي وقد كاتب مزارقية العروش أن يلتفوا على المحلة</p>	<p>ثورة علي بن مصطفى من حوانب الترك ادعى أنه من ذرية علي باشا</p>	<p>1824م</p>
<p>ابن ابي الضياف، ج3، ص24.</p>	<p>_ محلة من الزواوة والمخازنية والمزارقية والانكشارية بقيادة مصطفى خووجة</p>	<p>هدايا الى يوسف باي القرمانلي</p>	<p>22 ربيع الأول 1209هـ 17 أكتوبر 1794م</p>

ثانيا: الرُتب والرواتب

1- رتب الصبايحية

يتدرّج الصبايحي خلال مساره في صفوف الجنديّة في الرتب التالية تصاعدياً:¹

- جندي صبايحي.
- أوداباشي.
- أوداباشي يماق.
- باش أودا.
- باش شاوش.
- بلوكباشي.
- كاهية صبايحية: هي أقصى رتبة يمكن أن يبلغها الصبايحي من أصل محلي، أمّا الصبايحية الأتراك فيمكنهم بلوغ رتبة آغا.

2- رتب الأوجاق المخزنية.²

- باشا آغا
- الأغا
- الكاهية.
- خوجة وجق تونس.
- خوجة سائر الأوجاق.
- باش شاوش.
- شواش.
- بلكباشي.
- أوضباشي.
- صبايحي.

3- رتب عسكر الزواوة

¹ محمد العايبي، المرجع السابق، ص76.

² الشيباني بنبلغيث، تق: عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1882-1859م)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، 1995م. ص109.

يتدرج عسكر الزواوة في الرتب على النحو التالي:¹

- جندي.
- شاوش.
- أوداباشي: هو المسؤول عن الغرفة التي يتجمع فيها الجنود.²
- بلو كباشي.
- كاهية.
- آغا.

ثالثا: الرواتب

تورد الدفاتر الجبائية عبارتي "ثمرّة" و"راتب" لتعبر عما يتحصل عليه الأعوان عموما مقابل خدمتهم المخزنية. وبالرغم من اختلاف استعمالهما، حيث تستعمل لفظة "ثمرّة" للدلالة على ما يتحصل عليه الأعوان في سلك حوانب عرب والترك وكذلك آغاوات وصبايحية الترك والمماليك الملحقين بباردو وآغا بارووكواهي بترت وغار الملح في حين أنّ كلمة راتب تدل على مستحقات صبايحية فرق توانسة والقيروان والكاف وباجة وكذلك تشكيلة زواوة، فإننا لم نلاحظ فروقا في استعمالات العبارتين، فكلاهما يمثلان المقابل الذي يوجه لهذه الفئة من الأعوان لقاء خدمتهم المجسدة لشخصية الباي. كما أنّ تسديدها يتم في نفس الفترة، وهي كل ستة أشهر، أي مرتان في السنة. وقد أكد لنا الاستعمال المتراوح لعبارة "ثمرّة" وراتب بالنسبة إلى فرق صبايحية على عدم وجود اختلاف جوهري بين المصطلحين. ففي شتوة 1752 أطلقت كلمة ثمرّة لدلالة على ما تحصل عليه الصبايحية تونس وباجة والقيروان والكاف، في حين وقعت الاستعانة بلفظة راتب بالنسبة إلى زواوة. عموما بالرغم من اختلاف المصطلحات فالمهم بالنسبة إلينا هو أنّ الجهاز الإداري القائم خصص جزء من ميزانيته لخلاص هذه الفئة من الأعوان مقابل الخدمات التي يؤدونها. سلوى هويدي

وتخصص الدولة ميزانية للجانب العسكري قدرها 5 | 1 من الميزانية العامة ومن أهم مصادرها ما تجنيه المحلة من ضريبة المحبى التي تساهم بحوالي 45% إضافة الى قانون العُشر بالنسبة للأسواق

¹ محمد العايبي، المرجع السابق، ص76.

² توفيق البشروش، المرجع السابق، ص50.

والمحلات التجارية وما يخص الزيتون والنخيل وحوالي الربع من السكان يدفعون الضرائب التي تشمل الأرياف دون المدن.¹

مما ذكرناه سابقا يتضح أن عسكر زواوة طيلة تواجدهم بالأراضي التونسية تعرضوا للإهمال وتدني رواتبهم، إلا أنه في عهد حمودة باشا عرف الزواوة انتظاما وترتبا أكثر في صفوفهم فقد اعتمد عليهم واعتبرهم ركيزة أساسية في الجيش وأعطاهم راتبا منتظما ومنحهم الكثير من الامتيازات التي لم يحظوا بها سابقا.

<< A la suite de la révolution des janissaires, en 1804, hammouda-pacha résolut de se composer une garde avec les zouaoua dont la réputation de bravoure n'était plus à faire. Il leur donna une solde régulière, leur accorda quelques privilèges, en retour desquels ils devaient assurer la garde des forts, celle des palais beylicaux, et pouvaient être convoqués en masse toutes les fois que cette convocation paraissait nécessaire.>>²

عموما تميز سلم رواتب الأعوان من العسكر بوجود تراتبية مهنية داخل كل تشكيلة عسكرية بحسب الكفاءة والاقدمية، فأجر الكاهية في أي تشكيلة عسكرية هو غير الآغا. كما وجدت أيضا تراتبية بين نفس الرتب لمختلف الفرق، فقد تقدم أجر صبايحية الترك الذي يساوي 240 ريال، على كاهية وجق تونس 124 ريال، وعلى كواهي بقية الأوجاق 84 ريال، وحتى على كاهية زواوة. كذلك تفوق راتب باش حانبة الترك على باش حانبة عرب 141.5 ريال. وتعتبر فرقة زواوة من أقل المجموعات أجرا، فراتب خوجة زواوة وكاهيته مثل ربع أجر باش حانبة عرب، ونصف كواهي الأوجاق الداخلية. من جهة أخرى نلاحظ تفوق رواتب العناصر التركية على العناصر المحلية. ويعود هذا التفاوت حسب رأينا إلى تفوق العناصر التركية من حيث الكفاءة المهنية. إجمالا تصدّر سلم الأجور كاهية دار الباشا، بقيمة 1200 ريال في السنة عام 1807، وهو ضعف ما يتحصل عليه آغا باب باردو 500 ريال، وثلاثة أضعاف راتب آغا صبايحية الترك.

¹ الشيباني بنبلغيث، تق: عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1882-1859م)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، 1995م. ص 149.

Narcisse Faucon, op, p355 ²

- رواتب مختلف قادة الفرق العسكرية.¹

عهد حمودة باشا 1814 - 1782	عهدي محمد الرشيد وعلي باي 1782-1756	عهد علي باشا 1756-1735	
400 ريال سنويا	400 ريال سنويا	400 ريال سنويا	آغاوات صبايحية الترك كاهيته
200 ريال سنويا	200 ريال سنويا	200 ريال سنويا	كواهي وجق الترك
240 ريال سنويا	240 ريال سنويا	240 ريال سنويا	كاهية وجق تونس
124 ريال	124 ريال	124 ريال	كواهي وجق الجهات
84 ريال	84 ريال	84 ريال	كاهية بترت
200 ريال	200 ريال	200 ريال	آغا باردو
201.5 ريال	201.5 ريال	201.5 ريال	باش حانبة ترك كاهيته
201.5 ريال	201.5 ريال	201.5 ريال	كاهية غار الملح
161.5 ريال	161.5 ريال	161.5 ريال	باش حانبة عرب كاهيته
200 ريال	200 ريال	200 ريال	آذرباشي الممالك
141.5 ريال	141.5 ريال	141.5 ريال	خوجة الزواوة كاهيته
80 ريال	80 ريال	80 ريال	
121.5 ريال	121.5 ريال	121.5 ريال	
34.5 ريال	34.5 ريال	34.5 ريال	
34.5 ريال	34.5 ريال	34.5 ريال	

وقد حظيت قبائل المخزن مقابل خدمتها للمخزن بامتيازات جبائية كانت متفاوتة بتفاوت أهمية القبيلة وعلاقتها بالسلطة

- مصادر مادية أخرى للجند

¹ سلوى هويدي، المرجع السابق، ص34.

تقاضى العسكر الى جانب أجورهم الشهرية امتيازات ومنح أخرى منها عائدات من التمر على إثر مشاركتهم في الخروج مع المحلة. ويلاحظ اختلاف تراتبية توزيع العائدات، عن تراتبية الأجور، فقد تجد كاهية راتبه عالي لكن منحته متدنية، حيث تراجع مثلًا أسبقية كاهية باش حانبة الترك على زميله باش حانبة عرب، كذلك بالنسبة الى وجق الصبايحية الترك والتوانسة، فقد تساوى نصيب كواهيها وتراجعت مرتبة كاهية وجق الترك. نفسر ذلك باختلاف المقاييس المعتمدة في توزيع الرواتب والعائدات، فإذا كان تحديد الأجور يكون وفق الأقدمية والكفاءة، فإن توزيع العوائد مرتبط بتدخل الجانب العلاقتي مع أصحاب القرار. ونلاحظ في الجدول الآتي الامتيازات المقدمة للقادة نظير نشاطاتهم فرغم تقارب وتساوي العوائد إلا أن قادة الزواوة منحهم أقل من القادة الآخرين.¹

الوظيفة	النشاط	قيمة الدخل	التاريخ
باش حانبة العرب	لزمة طليان حلق الوادي	4000 ريال	1744-1745م
	لزمة طليان بترت	21741 ريال	1745م-1745
خوجة زواوة	200 قفيز قمح من حلق الوادي	13500 ريال	1802م
	100 قفيز خشاخش	900 ريال	1804م
باش حانبة	200 قفيز قمح من حلق الوادي	13500 ريال	1802م
آغا الزواوة	100 قفيز قمح من صفاقس	36 ريال	1802م

إضافة الى اقتطاع الكثير من الأراضي للقبائل نظير مشاركتها في المحلة وإخضاع القبائل المتمردة رابعا: الفرق بين الإنكشارية والقوى غير النظامية

1- الفرق في التدريب

يتميز جند الإنكشارية عن العسكر المحلي سواء الزواوة أو أفراد القوات المخزنية بتمتعهم بحق

التعليم العسكري والتدريب في المدرسة المتعددة التخصصات بالعاصمة تونس وقد ورد ذلك في

<<Il existe à Tunis une Ecole polytechnique pour les jeunes Tunisiens qui se destinent à l'armée, et qui sortent lieutenants au bout de six ans. L'Ecole est tenue militairement, et les

¹ سلوى هويدي، المرجع السابق. ص36.

élèves font généralement en peu de temps de grands progrès. Ils apprennent, outre l'art militaire, l'arithmétique, français. Le gouvernement les nourrit, les habille, et leur accorde la solde militaire.>>¹

وقد كانت البداية الفعلية للتكوين وتدريب القوات غير نظامية تكويناً أكاديمياً في عهد أحمد باي نتيجة لإحداث الجيش النظامي اختلف في توجهاته وأسلوبه عن الجيش العثماني معتمداً على ضباط من فرنسا ومع هذا التغيير ظهرت حركة تعريب العلوم العسكرية عن اللغتين التركية والفرنسية إضافة إلى جهود ضباط ومعلمي مدرسة باردو وقد توافق توقف هذه الحركة مع غرق مدرسة باردو والحماية الفرنسية لتونس.²

وتميز تعليم أفراد الجيش عموماً بالضعف فلا يوجد ما يدل على تعليم حقيقي للجنود التونسيين.³

2- الفرق في الراتب

إلى جانب حرص الدولة على تقديم رواتب قارة للأعوان من العسكر، فقد اهتمت بالوضع الاجتماعي لفئة العسكر الانكشاري بعد انتهاء مدة خدمتهم آلياً، أو إثر تعرضهم لحوادث مختلفة تحول دون مواصلة خدمتهم. فقد أقر علي باي، تحسين ما يتحصل عليه "أغوات الديوان المعزولون" عند إحالتهم على التعاقد، إلى جانب ذلك سمح بحصول المتعرضين لحوادث مختلفة بالحصول على الأجر كامل الذي كانوا يتقاضونه أثناء مباشرتهم لمهامهم بحسب رتبهم والسماح بالعودة إلى الخدمة للقادر على ذلك.⁴

وتوضح الجداول السابق الفرق الكبير في الراتب بين الانكشارية والقوات غير النظامية

3- الزي العسكري

نتيجة لولع أحمد باي بتقليد النظم الأوروبية فيما يخص الجيش، فقد أدخل تغييراً في اللباس العسكري ولم يبق من النوع القديم إلا القبعة التركية مزينة بصفيحة ورباط من الجلد تحت الذقن،

¹ Henry Dunant, op, p81

² الشيباني بنبلغيث، تق: عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1882-1859م)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، 1995م. ص100.

³ نفسه، ص93.

⁴ سلوى هويدي، المرجع السابق، ص35.

بالنسبة لجنود المدفعية والخيالة واختلفت ألوان الأزياء لدى فرق الجيش فكان لون لباس فرسان الخيالة أزرق، ولون لباس جنود المشاة أحمر. وأحيانا تختلط الأمور فيرتدي الجندي ما يستر عورته ولا يُبالي إن كان أزرقا أو أحمر.

<<Ce prince avait quarante mille hommes de troupes régulières, auxquelles il donna un costume uniforme. Cet uniforme se compose pour les soldats d'une veste boutonnée et d'un large pantalon : la veste est rouge ou bleue foncé, suivant les régiments ; le pantalon est de drap garance, ou de toile blanche suivant la saison.>>¹

وبحكم قدم تلك الأزياء كثيرا ما تفقد حتى ألوانها، ولذلك يصعب التمييز بين أفراد الجنود، وهم يرتدون لباس ضيقا أسود من كثرة الاستعمال أما الأحذية فهي رديئة وثقيلة. وتختلف قيمة ونوعية اللباس حسب الرتبة العسكرية وحسب المناخ (الصيف | الشتاء) وابتداء من سنة 1864م أبدل الصادق باي لباس جزء من العسكر النظامي بلباس كان قريبا من اللباس الإسلامي، مأخوذا عن الزي الفرنسي بالجزائر. وكان هذا التغيير كما يشير ابن الضياف لمجرد التقليد وليست له أية ضرورة خاصة وأنه كان مرتفع الثمن أكثر من السابق، والحال أن الدولة كانت تمر بأزمة مالية.² وقد اختلف الزي العسكري للقوات غير نظامية عن الانكشارية فقد كان الصبايحية والزواوة يرتدون عمامة حريرية ولباس مصنوع من الصوف الخفيف الناعم المطرز بخيوط ذهبية أو فضية وكانت سيقانهم عارية لقصر هذا اللباس. ومع مرور الوقت تحول لباس الزواوة الى لباس أزرق مع اللون الأصفر وبنطلونات زرقاء شاحبة وطرايش حمراء.³ أما دروفي فقد ذكر أن لباس عسكر زواوة كان مدنيا إلا الضباط منهم يحصلون على برنوس أسود.⁴

¹ Henry Dunant, op, p75-76

² الشيباني بنبليغيث، المرجع السابق، ص 162.

³ محمد العايب، المرجع السابق، ص 82.

⁴ Raymond drevet, op. P14

خاتمة

خاتمة

لعبت القوات غير النظامية بالايالة التونسية دورا كبيرا في تثبيت أركان الحكم العثماني بالبلاد وقد اتضح ذلك من خلال الأدوار والمهام المميزة التي قامت بها. فلم تكن الانكشارية وحدها كافية في تسيير شؤون البلاد ومن خلال دراسة طائفة الزواوة والقبائل المخزنية ومما سبق ذكره يمكن استخلاص النقاط التالية:

— استنجد الحكام العثمانيون بعسكر زواوة والقبائل المخزنية دليل على قلة الانكشارية وعدم تمكنهم من السيطرة المطلقة على الايالة.

— مثلت قبائل المخزن الجهاز الإداري الحقيقي للعثمانيين في التخوم وكانت بمثابة حلقة وصل بين الحكام وباقي نواحي الإيالة وعملت على توفير الأعوان الإداريين المكلفين بحماية الضرائب. — أدت فرقة الزواوة وقبائل المخزن دورا مهما في تدعيم الحاميات وتعزيز المحال العسكرية أثناء خروجها لجمع الضرائب.

— مثلت التشكيلات العسكرية المنبثقة من القبائل المخزنية إحدى ركائز القوة الدفاعية للباي بدليل بسط نفوذهم على المجال التابع لهم وتوظيف مختلف قدراتهم في خدمة السلطة. — تزايد عدد جند الزواوة مع مرور الزمن دليل على فعالية هذه الطائفة وتميزها في المجال العسكري.

— أدى التهميش المادي وإبعاد الزواوة عن دائرة صنع القرار أحيانا إلى تمردات.

— تميزت السياسة العسكرية العثمانية بالايالة بالشدة والقوة ضد أي انفصال وهو ما يفسر إخضاع الكثير للقبائل من قبائل الرعية المتمردة إلى مخزنية خادمة للديوان.

— من خلال الإحصائيات المقدمة يتضح تفوق العنصر الانكشاري في الراتب والمرتبة والزي على باقي الجند المحليين.

— يستفيد الجنود من امتيازات ومنح بعد كل محلة أو حملة عسكرية حسب المردود المقدم في ذلك النشاط.

— استغنى العثمانيون خلال فترات متقطعة عن عسكر الزواوة ولكن سرعان ما يعودون للاستعانة بهم نظرا لأهميتهم.

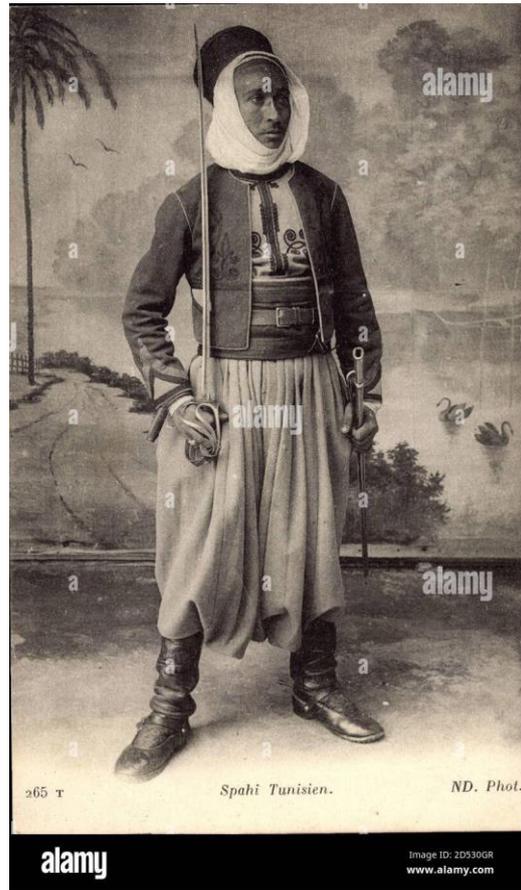
الملاحق

جدول لوظائف المؤسسات في الإيالة التونسية.¹

المؤسسة	وظائفها
الباشا	الوالي وهو ممثل السلطان العثماني
الأغا	قائد الجيش الإنكشاري
الباي	قائد محلة (قوة عسكرية) مكلفة بجمع الضرائب
الداي	قائد فرقة عسكرية انكشارية (100 جندي)
الديوان	مجلس استشاري عسكري مساعد للباشا
قاضي العسكر	ينظر في النزاعات وهو حنفي المذهب

¹ موقع تاريخ وجغرافيا، التطور السياسي بالإيالة التونسية من القرن 16 إلى القرن 18، على الرابط: <https://www.revision-histoire-geo.com>

زي لأحد عسكر الزواوة.¹



<https://www.alamyimages.fr>¹

بعض أعيان البلاد والكواهي.¹



الاستعداد للحرب الجزائرية التونسية.²



<https://www.webdo.tn/fr/actualite/les-billets-de-hatem-bourial/du-goumrougui-au-kahia-quelques-dignitaires-beylicaux/187866>¹

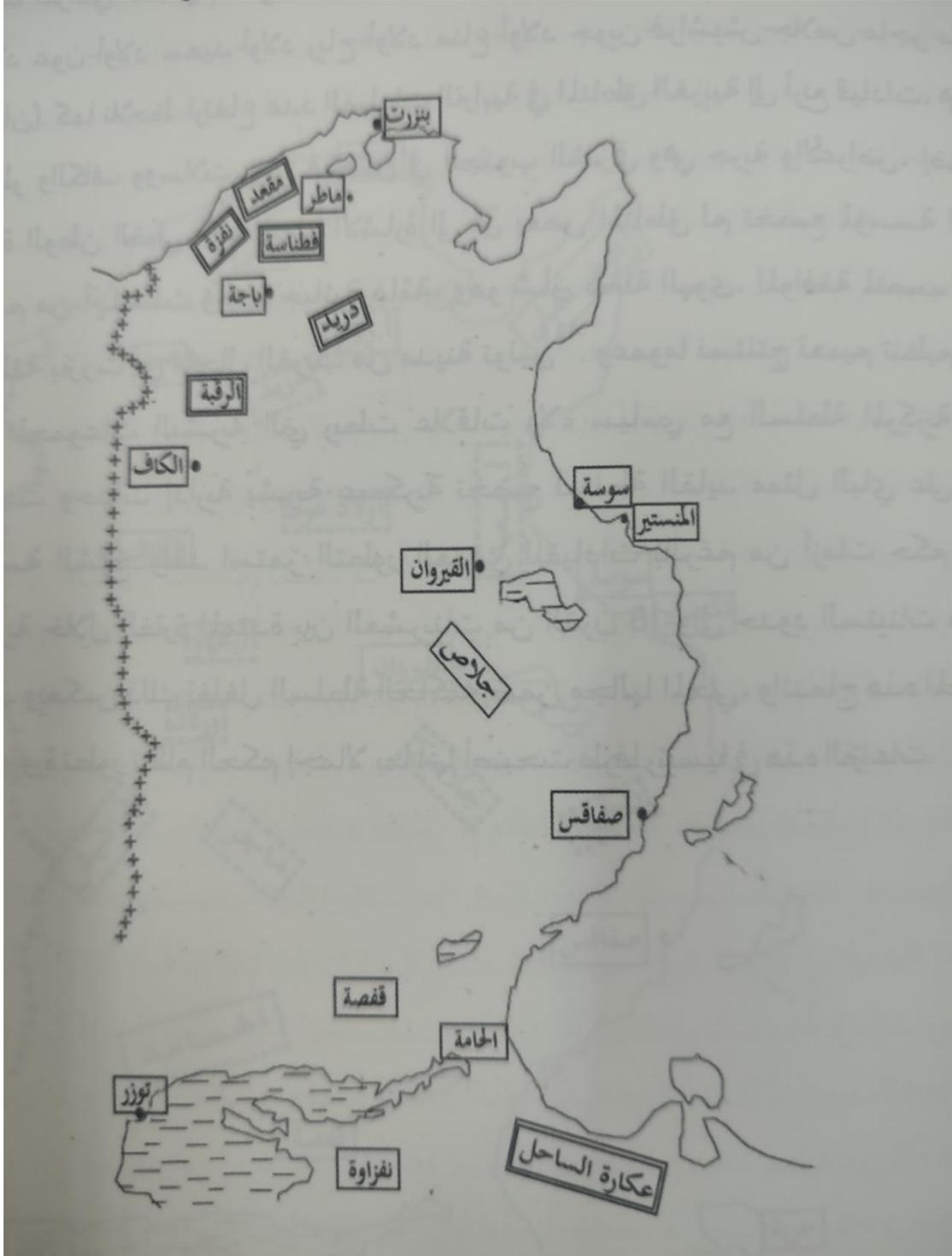
<https://rattibha.com/thread/1264656953009147909>²

اصطفاف القوات غير النظامية والانكشارية للخروج للحرب.¹



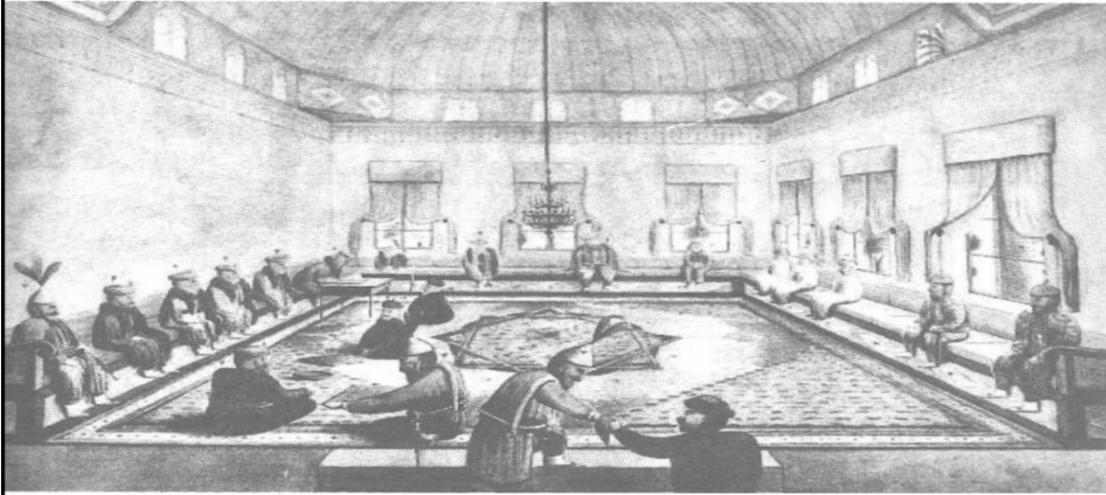
<https://zaherkammoun.com/2019/08/11/crimeetunisie/>¹

خريطة أهم مراكز القيادات خلال الثلث الأخير من القرن 17م.¹

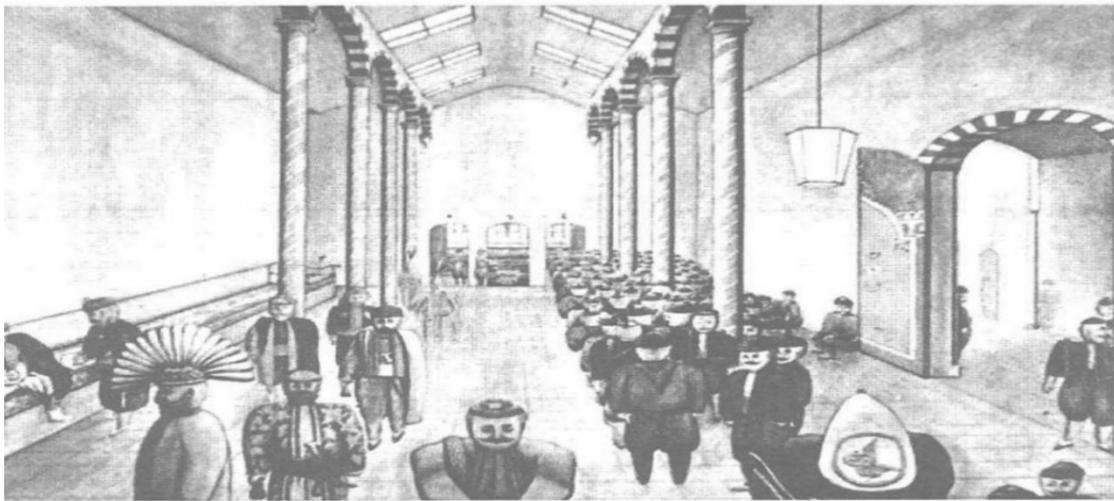


¹ سلوى هويدي ومهدي جراد، هيكل القيادة، ط1، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2019م.

لقاء في الديوان.¹



اصطفاف الجند لاستلام الرواتب في دار الباشا.²



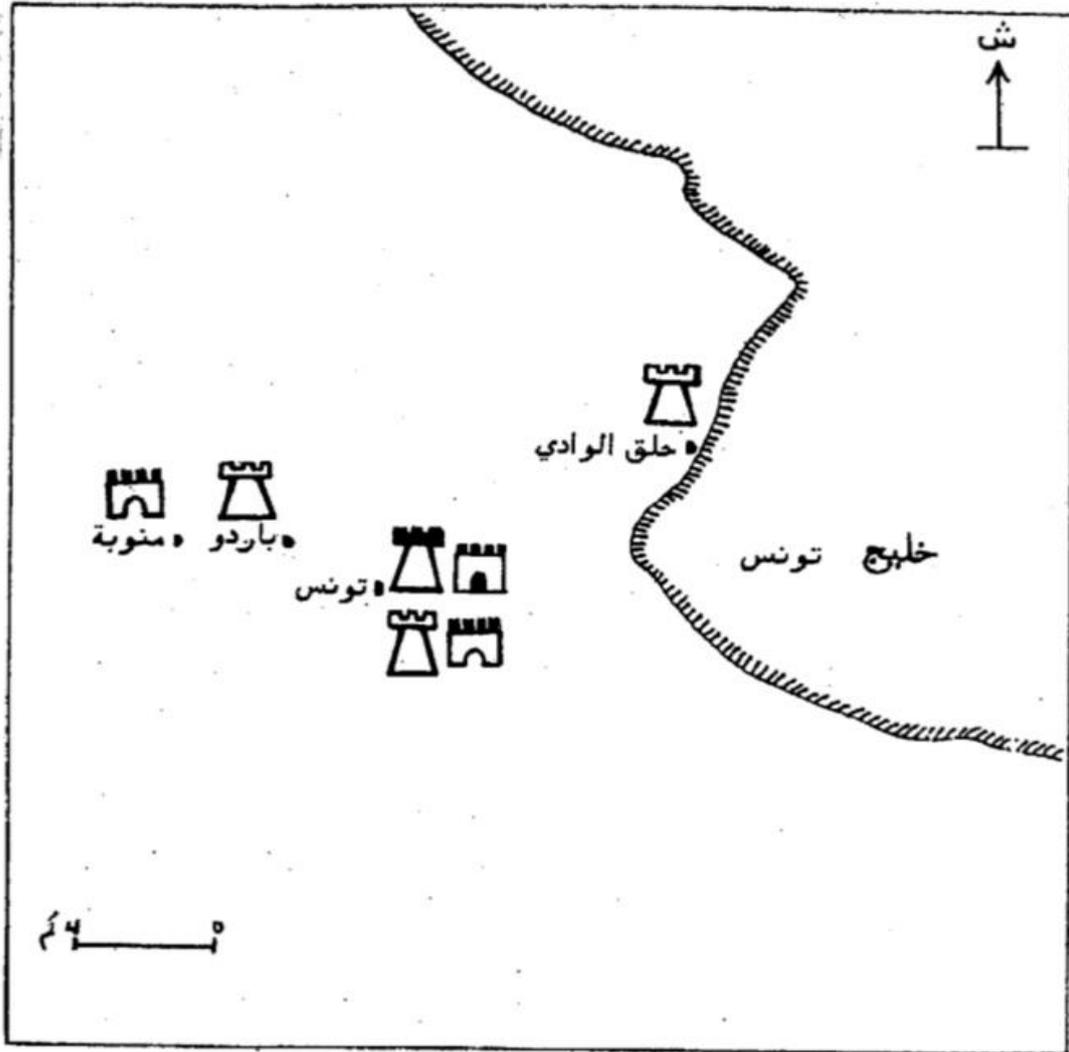
Habib boularès, histoire de la tunisie les grandes dates de la préhistoire à la révolution, cérés édition, tunis, 2011. P388.

1

Habib boularès, Op P389

2

خريطة الأبراج والقشل في تونس وحلق الوادي وباردو ومنوبة.¹

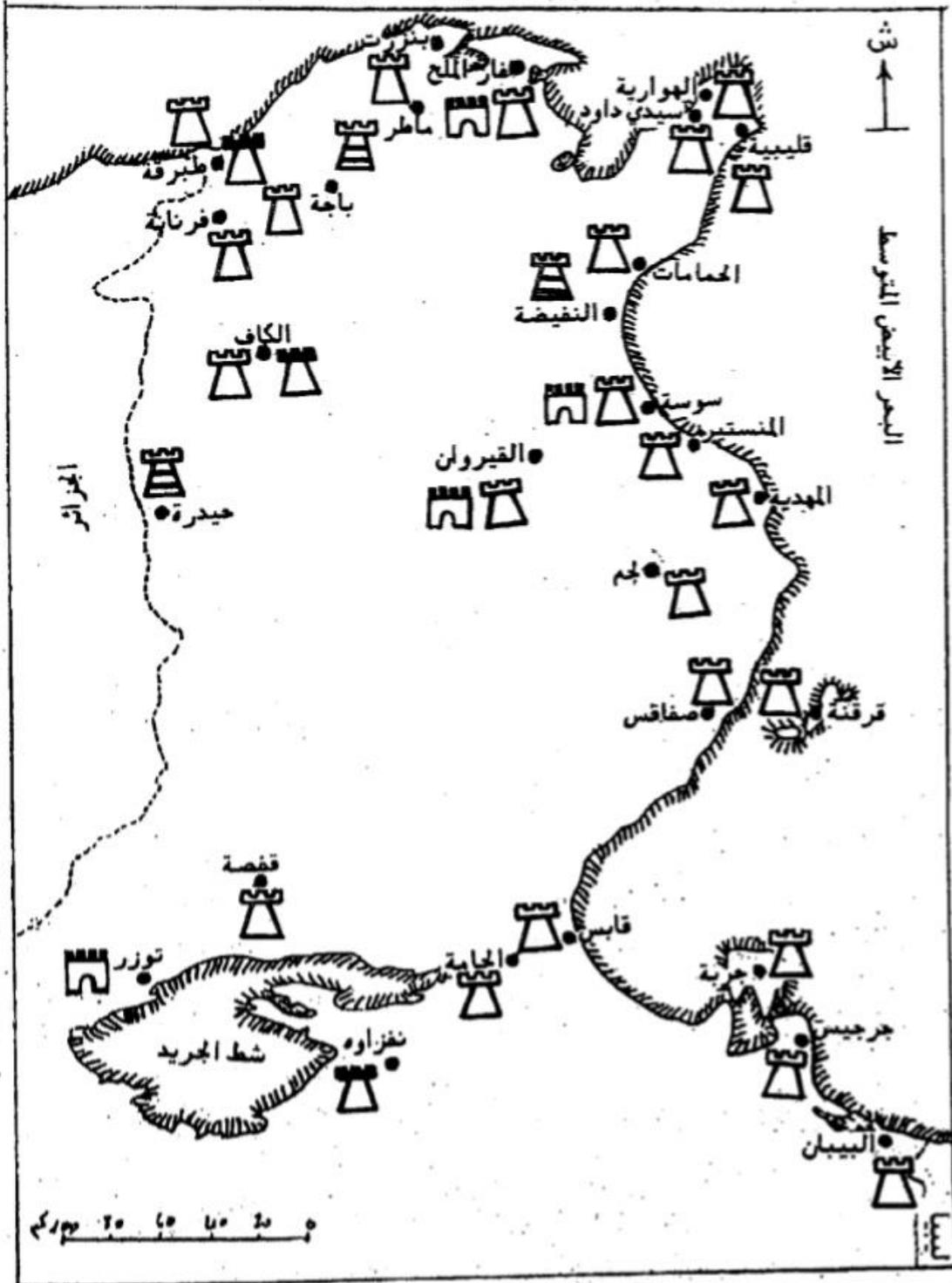


مصطلح الاشكال للخرائطين

- أبراج الجيش النظامي	
- أبراج عسكري زاوية	
- ثكنات الجيش النظامي	
- ثكنات عسكري زاوية	
- أبراج لم يبنته بناؤها إلى دخول فرنسا لتونس	

¹ الشيباني بنبلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي، ص 123.

خريطة الثكنات والأبراج البرانية (خارج الحاضرة وضواحيها)



1 الشيباني بنبلغيث، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي، ص 124.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر العربية

- 1- ابن أبي دينار محمد بن أبي القاسم الرعيبي القيرواني، المؤنس في أخبار افريقية وتونس، ط1، دار المسيرة للصحافة والطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1993م.
- 2- ابن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج2، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.
- 3- ابن أبي الضياف، تحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، ج3، الدار العربية للكتاب، تونس، 1999م.
- 4- ابن عبد العزيز (حمودة)، الكتاب الباشي، تح: محمد ماضور، ج1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1970م.
- 5- احمد بك النائب الأنصاري، المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، منشورات مكتبة الفرجاني، طرابلس، ليبيا، د.س.
- 6- تقي الدين أبو العباس أحمد المقريري، السلوك لمعرفة دول الملوك، ج7، ط1، تح: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.
- 7- حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تع: تق: محمد العربي الزبيري، منشورات ANEP، الجزائر، 2005م.
- 8- عبد الرحمن بن خلدون، ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر ومن عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، ج6، ط1، تح: خليل شحادة وسهيل زكار، دار الفكر، بيروت، 2000م.
- 9- مارمول كاربخال، افريقيا، ج3، تر: محمد حجي وآخرون، دار لشر المعرفة، الرباط، المغرب، 1988-1989م.
- 10- محمد بيرم الخامس، صفوة الاعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، مج: 1، تح: علي الشنوفي، المجتمع التونسي للعلوم والآداب والفنون، بيت الحكمة، تونس، 1999م.

11- محمود مقديش، نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار، ط1، تح: علي الزاوي ومحمد محفوظ، مج 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1988م.

12- هابنسترايت، رحلة العالم الألماني الى الجزائر وتونس وطرابلس (1145هـ-1732م)، تر: تق: ناصر الدين سعيدوني، د ط، دار الغرب الإسلامي، تونس، د س،

13- الوزير السراج، الحلل السندسية في الأخبار التونسية، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج1، الدار التونسية للنشر، 1970م.

المراجع العربية

1- أحمد توفيق المدني، حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وأسبانيا 1492-1792، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،

2- أحيدة عميراوي، علاقات بايلك الشرق الجزائري بتونس أواخر العهد العثماني وبداية الإحتلال الفرنسي، دط، دار البعث، قسنطينة، 2002م.

3- إدريس رائي، القبائل الحدودية التونسية الجزائرية بين الإجارة والإغارة (1881-1830م) ط1، دار المتوسطة للنشر، تونس، 2016م.

4- الأزهرى الماجري، قبائل ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات، جامعة منوبة، تونس، 2007م.

5- ألفونصو روسو، الحوليات التونسية منذ الفتح العربي حتى احتلال فرنسا للجزائر، تح: محمد عبد الكريم الوافي،

6- الباجي المسعودي، الخلاصة النقية في أمراء افريقية، ط1، تح وتغ: محمد زينهم عزب، دار الآفاق العربية، القاهرة، مصر، 2013م.

7- بن عامر أحمد، الدولة الحفصية صفحات خالدة من تاريخنا المجيد، مطبعة الاتحاد العام التونسي للشغل، تونس، 1977م.

8- التهامي نقره، القيروان عبر العصور، كتابة الدولة للشؤون الثقافية، تونس 1964م.

- 9- توفيق البشروش، جمهورية الدايات في تونس 1591-1675م، شركة أوريبس، تونس، 1992م.
- 10- دلندة الأرقش وآخرون، المغرب العربي الحديث من خلال المصادر، مركز النشاط الجامعي ميدياكوم، تونس، 2003م.
- 11- روبير مانتران، تاريخ الدولة العثمانية، تر: بشير السباعي، ج1، ط1، دار الفكر، القاهرة، 1993م.
- 12- شوقي عطا الله الجمل، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، ط1، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، مصر، 1977م.
- 13- سامح عزيز التري، الأتراك العثمانيون في افريقيا الشمالية، تر: محمود علي عامر، ط1، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1989م.
- 14- سلوى هويدي، أعوان الدولة بالإيالة التونسية: الأفراد-المجموعات-شبكات العلاقات (1735-1814م)، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، تونس، 2014م.
- 15- عبد الحميد هنية، تونس العثمانية بناء الدولة والمجال من القرن السادس عشر الى منتصف القرن التاسع عشر، تبر الزمان، تونس، 2012م.
- 16- عبد الوهاب حسن حسني، خلاصة تاريخ تونس، ط3، دار الكتب العربية الشرقية، تونس، 1953م.
- 17- عمر محمد الباروني، الاسبان وفرسان القديس يوحنا في طرابلس، مطبعة ماجي، طرابلس، ليبيا، 1952م.
- 18- علي المحجوبي، انتصاب الحماية الفرنسية بتونس، سراس للنشر، تونس، 1986.
- 19- علي اللطيف، انتفاضة الساحل التونسية 1864م محلة زروق ومعركة القلعة الصغرى، المعهد العالي لتاريخ الحركة الوطنية، تونس، 2012م.
- 20- غلاب عبد الكريم، قراءة جديدة في تاريخ المغرب العربي، ج2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1426هـ، 2005م.

- 21- محمد العروسي المطوي، السلطنة الحفصية تاريخها السياسي ودورها في المغرب الإسلامي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1986م.
- 22- محمد الهادي الشريف، تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ الى الاستقلال، تعريب محمد الشاوش ومحمد عجينة، ط3، دار سراس للنشر، تونس، 1993م.
- 23- محمد خير فارس، تاريخ الجزائر الحديث، ط1، مكتبة دار الشرق، بيروت، 1969م.
- 24- محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، تح: إحسان حقي، دار النفائس، بيروت، لبنان، 1981م.
- 25- محمد علي الحبّاشي، عروش تونس، ط1، منشورات ستوميديا، تونس، 2016م.
- 26- نزار قازان، سلاطين بني عثمان بين قتال الإخوة وفتنة الإنكشارية، ط1، دار الفكر اللبناني، بيروت، لبنان، 1992م.
- 27- نيقولايف ايفانوف، الفتح العثماني للأقطار العربية 1516-1574، تر: يوسف عطا الله، ط1، دار الفارابي، بيروت، لبنان، 1988م.
- 28- لطفي بوعلي، التحديث العسكري قراءة ميكرو- تاريخية في التجربة التونسية (1881-1830م)، ط1، منشورات سوتيميديا، تونس، مارس 2019م.
- 29- مصطفى أبو ضيف أحمد عمر، القبائل العربية في المغرب في عصري الموحدين وبني مرين، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1982م.
- 30- وليام سبنسر، الجزائر في عهد رياس البحر، تع: تر: عبد القادر زبادية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1980م.
- 31- يلماز أوزتونا، تاريخ الدولة العثمانية، مج1، تر: عدنان محمود سلمان، مؤسسة فيصل للتمويل، إسطنبول، تركيا، 1988م.

المراجع الأجنبية

1- Charles simond, tunis et la tunisie, poitiers-typographie oudin, paris, France, 1887.

- 2- Ganiang jean, la population de tunis, essai d'évaluation d'après les registres fiscaux, in etudes maghrébines, effirts à charles andré julien,
- 3- Narcisse Faucon, La Tunisie avant et depuis l'occupation francaise: histoire et colonisation. Geographie, histoire, ... ; lettre-pref. De M. Jules Ferry Date de l'edition originale, Tunisie, 1893.
- 4- Henry Dunant, notice sur la régence de Tunis, imprimerie de jules-g fick, Genève, 1858.
- 5- Paul sebag, les monnaies tunisiennes au XVIIe siècle, revue du monde musulman et de la méditerranée, N 55-56, l'université de provence, marseille, France.
- 6- Feraud, les hrare seigneurs des hanancha, dans revue africaine, N104. 1875.
- 7- Taoufik bachrouch. Fourmation socialebarbaresque et pouvoir à tunis au xvile siècle, tunis, 1977.
- 8- Saadaoui ahmed, palais et résidences des mouradites: apport dès l'académie des inscriptions, hmprimerie de boccard, paris, France, 2006.

الرسائل الجامعية والدوريات العربية

- 1- أحلام بالطاهر ونجاة دباخ، دور الديوان السياسي في إيالتي الجزائر وتونس خلال العهد العثماني، مذكرة ماستر في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الوادي، الجزائر، 2017-2018م.
- 2- أبو يعلى الزواوي، تاريخ الزواوة، مر: تع: سهيل الخالدي، ط1، منشورات وزارة الثقافة، الجزائر، 2005م.

- 3- بشرى ناصر هاشم الساعدي وميساء لؤي عبد الله، حمودة باشا ودوره الإصلاحية في تونس 1782-1814م، مجلة الآداب، ملحق2، العدد 127، ديسمبر 2018م.
- 4- التايب المنصف، المجال والسلطة في البلاد التونسية خلال العهد العثماني، روافد، ع 4، منشورات المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية،
- 5- خير الدين الزركلي، الأعلام، ج4، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 2002م.
- 6- عائشة جميل، الجزائر والباب العالي من خلال الأرشيف العثماني 1520-1830م. أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في التاريخ، جامعة سيدي بلعباس، الجزائر، 2018-2017.
- 7- مصطفى عبد الكريم، معجم المصطلحات والألقاب التاريخية، مؤسسة الرسالة، بيروت،
- 8- خير الدين سعدي، الحملات الاسبانية على مدينة الجزائر خلال العهد العثماني (1518-1775م) من خلال مخطوط الزهرة النائرة لابن رقية التلمساني، مجلة دراسات وأبحاث، العدد 29، ديسمبر 2017.
- 9- نجاة سليم المحاسيس، معجم المعارك التاريخية، ط1، دار زهوان للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، 2011م.
- 10- صالح عباد، الجزائر خلال الحكم التركي 1514-1830م، دار هومة، الجزائر، 2012م.
- 11- سحابات زهيرة، جهود العلي باشا الجزائر في عثمانة تونس على ضوء مهمة دفترية، مجلة العبرة للدراسات التاريخية والأثرية في شمال افريقيا، مج:6، العدد 01، جامعة الجليلي اليابس، سيدي بلعباس، الجزائر، 2023م.
- 12- سهيل صابان، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض، د.س.
- 13- حسان حلاق وعباس الصباغ، المعجم الجامع في المصطلحات الأيوبية والمملوكية والعثمانية ذات الأصول العربية والفارسية والتركية، ط1، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، 1999م.
- 14- محمد السعيد عقيب - محمد العيد قدع، الإيالة التونسية والسلطنة العثمانية مظاهر التبعية وتجليات الانفصال، مجلة المعارف للبحوث والدراسات التاريخية، جامعة حمه لخضر.

- 15- محمد الحبيب عزيزي، مؤسسة دار الجلد في العهد الحسيني بالإيالة التونسية، العدد 06، منشورات كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الجزائر.
- 16- غسان عبد الله مجول، النظام الداخلي للجيش الإنكشاري في الدولة العثمانية، مجلة آداب الفراهيدي، العدد 17، جامعة تكريت، العراق، ديسمبر 2013م.
- 17- خليفة حمّاش، العلاقات بين الإيالة الجزائرية والباب العالي (1798-1830م)، رسالة ماجستير في العصر الحديث، قسم التاريخ والآثار، جامعة الإسكندرية، مصر، 1988م.
- 18- رزقي شويتام، المجتمع الجزائري وفعالياته في العهد العثماني، رسالة مقدمة لنيل درجة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، 2006/2005.
- 19- ابن منظور، لسان العرب المحيط، تقديم الشيخ عبد الله العلايلي، مجلد2، ج2، دار لسان العرب، دار الخيل، بيروت، دس،
- 20- حسان كشرود، رواتب الجند وعامة الموظفين وأوضاعهم الاجتماعية والاقتصادية بالجزائر العثمانية من 1659 الى 1830م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث، جامعة منتوري قسنطينة، 2008/2007م.
- 21- محمد أرزقي فراد، المجتمع الزواوي في ظل العرف والثقافة الإسلامية، 1749-1949م، أطروحة دكتوراه تخصص التاريخ الحديث والمعاصر، جامعة الجزائر، جامعة الجزائر 2، 2011م.
- 22- الشيباني بنبلغيث، تق: عبد الجليل التميمي، الجيش التونسي في عهد محمد الصادق باي (1859-1882م)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وكلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة صفاقس، 1995م.
- 23- حفيظة بوتوقوماس، النشاط التجاري للمجتمع التونسي خلال العهد الحسيني 1117-1246هـ | 1705-1830م، مجلة معارف، مج10، العدد18، جامعة البويرة، الجزائر، 2018م.
- 24- ياسين صنديد، الأسرة الحسينية ودورها في العلاقات السياسية والاقتصادية بين تونس وفرنسا 1117-1197هـ | 1705-1782م، مذكرة لنيل شهادة الماجستير: تخصص تاريخ حديث، جامعة غرداية، 2012-2013م.

25- يوسف بن حيدة، التواصل الصوفي للطرق الصوفية بين الجزائر وتونس خلال الفترة العثمانية
"الطريقة الشاذلية نموذجاً"، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه علوم في التاريخ الحديث
والمعاصر، جامعة الجيلالي الياصب، سيدي بلعباس، الجزائر، 2017م.

الفهرس:

1	المقدمة
3	الفصل الأول: التواجد العثماني بتونس وبداية التنظيم العسكري
3	أولا: سقوط الدولة الحفصية وظهور الحكم العثماني بتونس
15	ثانيا: مراحل الحكم العثماني بتونس
22	ثالثا: التنظيم العسكري في تونس العثمانية
28	الفصل الثاني: أنواع القبائل والطوائف بالإيالة التونسية
28	أولا: قبائل الرعية
33	ثانيا: القبائل المخزنية
38	ثالثا: طائفة الزاوة
42	الفصل الثالث: التنظيم العسكري للقوات غير نظامية
42	أولا: مهامهم
52	ثانيا: الرتب والرواتب
53	ثالثا: الرواتب
56	رابعا: الفرق بين الإنكشارية والقوى غير النظامية
59	خاتمة
60	الملاحق
76	الفهرس